روايات عبير

الساحر

www.elromancia.com

مرمورية

Janet GORDON

N° 600

روايات عبير

لقد كانت حياتي قبل أن أعرفك منظمة جداً ،
حتى الفوضى فيها كانت - بطريقة ما - منظمة أيضاً ،
وكان عقلي هو محركي الوحيد . متعتي الوحيدة في الحياة ،
وظننت وقتها أنه سوف يبقى كذلك إلى الأبد . إن الطبيعة قد حبتني
ببعض القدرات الخاصة ، ولذلك أخذت عهداً على نفسي أن أجعل المجتمع
يستفيد منها لأقصى درجة . ولكن ... - لكن ؟
-لكني اكتشفت معك الوجه الخفي لنفسي : وجهاً أكثر جنوناً ،
أكثر طيشاً . عامتني أنت كيف ألهو وكيف أستمتع بالحياة ،
ووجدت أنني قد أحببت هذا كثيراً .

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-424-76-4

المقدمة

كان يرتدي بنطلون چينز، وسترة واقية من الرياح، وزوجا من أحذية "ريبوك"، ويضع على رأسه طاقية "بيس بول" تغطي شعره الكثيف ذا اللون الأسود المحمر. لفتت نظراته المثيرة انتباه الجامعية الشابة. كانت عيناه الخضراوان اللامعتان مبتسمتين ولكنها حافظت على نظراتها دون أن ترمش.

لقد أحست "بيب" باضطراب لم يحدث أن شعرت به من قبل. لأول مرة منذ ستة وعشرين عاما من الحياة أحست المرأة بغريزتها أنها أمام رجل. وفي حين أنها كانت تمتلك قدرة غير عادية على التعبير، أصبحت "بيب" فجأة غير قادرة على تعريف الشعور الذي كان ينطلق منه ولكنها أدركت نوعا من السحر، من التأجج الذي سرعان ما سيطر عليها.

شخصيات الرواية

- "إليزابيث لي بارون" (بيب): دكتورة في الفلسفة، إخصائية في علوم الحاسب الآلي، في بداية العقد الثالث من العمر.
- "سويرهايس": شاب في السادسة والعشرين من عمره، مدير عام وصاحب شركة كبيرة.
- "ليونارد هوكر": عم "سوير" وشريكه، ويلقب بـ"لين".
- مادلين هايس: أم "سوير".
- "نان": مديرة منزل ومربية "بيب".
- "كارول فينهويزن": طبيبة نفسية وصديقة "بيب".
- "جلوريا": السكرتيرة الخاصة لـ"سوير هايس".

الفصل الأول

قامت "إليزابيث لي بارون" الملقبة بـ"بيب" والدكتورة في الفلسفة، بغمس الفرشاة في دلو الطلاء؛ لتبدأ بكل دقة في دهن خط أبيض طويل بطول هيكل القارب القديم.

كانت عملية الطلاء بالنسبة لهذه المرأة الشابة شيئا جديدا تماما ولكنها كانت قد استوعبت كل ما قرأته عن هذا الموضوع في كثير من الكتب التي اشترتها خصيصا لذلك. وكان يوما حارا جدا على غير عادة أيام شهر إبريل؛ فلم تستطع قبعتها ولا نظارتها- التي كانت على شكل قلب- أن تمنع انسياب العرق على وجهها. وكانت قد لصقت على أنفها قطعة من شريط لاصق مضاد لضربات الشمس والذي زاد من غرابة مظهرها أيضا.

انتهى الأمر بـ"بيب" بالنزول من على السلم بغية تنشيف عرقها بواسطة قميص رياضي كان مقاسه لا يناسبها؛ لذلك كانت تستخدمه في الأعمال المنزلية، تناولت جرعة من المياه الغازية وحاولت أن تنسق قليلا من شعرها الكثيف لتقرر بعد ذلك العودة إلى عملها من جديد.

لقد كان هذا أحد مشاريعها التي أعلنت عنها في تقريرها الذي كان عنوانه "من أجل تنمية اجتماعية سريعة" وكانت مصرة على إنهاء عملها قبل عودة أبناء جيرانها- التوءمين "ستراهان"- من المدرسة التي تقع على الجانب الآخر من البحيرة. لقد كانت تتدرب معهم على رياضة "البيس بول" كل يوم جمعة، وكانت لديها رغبة حقيقية في تحسين أدائها لهذه اللعبة.

اندمجت "بيب" تماما في عملها لدرجة أنها لم تعد تحس ما يدور من حولها: لم تكن ترى سوى انسياب الفرشاة على هيكل السفينة. كما أن النسمة الدافئة التي كانت تهب بين أشجار السرو زادت من إحساسها بالراحة والعزلة. لم تؤثر زقزقة العصافير على أوراق الأشجار، ولا قفزات الأسماك من حين لآخر خارج الماء على تركيزها. الشيء الوحيد الذي أدركته عن طريق اللاوعي هو صوت طائرة مروحية كانت تقترب شيئا

فشيئا خلف المنزل، بعد نهاية منطقة الأشجار، في نفس الوقت الذي كانت تتوقف فيه قليلا لتحرك سلمها، سمعت بوضوح أصوات أقدام تتجه نحوها.

"ربما كانت "نان" أتت لتتأكد من أنني أكلت سندوتشاتي". كان هذا تفكيرها وهي تنظر إلى كيس السندوتشات الذي لم تلمسه.

ابتسمت "بيب". من المؤكد أنها ستتعرض للعتاب من طرف هذه السيدة العجوز، التي كانت تتعامل معها كما لو كانت جدتها وليس كمديرة لمنزلها، كانت عباراتها من طراز:

- إنك نحيفة لدرجة تجعل الناموسة تزهد في غذائها منك.

في نفس الوقت الذي كانت المرأة الشابة تحضر فيه ردا مفحما تسكت به توبيخات "نان"، حينما رأت رجلين يخرجان من بين الأشجار الكثيفة.

قال أصغرهما سنا:

- صباح الخير.

كان يرتدي بنطلون جينز، وسترة واقية من الرياح، وزوجا من أحذية "ربيوك" ويضع على رأسه طاقية "بيس بول" تغطي شعره الكثيف ذا اللون الأسود المحمر. لفتت نظراته المثيرة انتباه الجامعية الشابة. كانت عيناه الخضراوان اللامعتان مبتسمتين ولكنها حافظت على نظراتها دون أن ترمش.

لقد أحست "بيب" باضطراب لم يحدث أن شعرت به من قبل. لأول مرة منذ ستة وعشرين عاما من الحياة أحست المرأة بغريزتها أنها أمام رجل. وفي حين أنها كانت تمتلك قدرة غير عادية على التعبير، أصبحت "بيب" فجأة غير قادرة على تعريف الشعور الذي كان ينطلق منه ولكنها أدركت نوعا من السحر، من التاجج الذي سرعان ما سيطر عليها.

ابتسم لها وقال لها شيئا لكنها لم تسمعه ولم ترد عليه، كان هناك شيء يمنعها من الكلام. كانت تحس كأنها تمثال مصنوع من الملح تم طحنه، لم تنتبه إلى قطرات الطلاء المتساقطة من الفرشاة لتستقر على حذائها الرياضي القديم. ولكنها ما لبثت أن أجابت بعد بذل مجهود غير عادي لتتمالك

نفسها:

– ماذا؟

وابتسم الرجل الشاب من جديد لتظهر غمازتاه الفاتنتان وفكرت المرأة الشابة:

– إذا استمر في النظر إلي بهذه الطريقة فسوف ينتهي بي الأمر إلى الذوبان.

تقدم الرجل الأكبر سنا خطوة ناحية "بيب" وعلى العكس من الذي تكلم معها والذي كان ظريفا وفاتنا، كان الآخر– بالرغم من بدلته وربطة عنقه– لا يشعرها من ناحيته بأي ثقة. كان يعلوها بمقدار الرأس تقريبا. رفعت رأسها نحوه دون أن تنتبه بعد إلى الطلاء الأبيض المتساقط على حذائها الرياضي.

استدرك الرجل ذو البدلة الكاملة قائلا:

– إننا نبحث عن الدكتورة "لي بارون"، وليس لدينا وقت لنضيعه. إن مديرة المنزل قالت: إننا سوف نجدها هنا.

استجمعت "بيب" أفكارها، ووجهت انتباهها نحو الرجل الغريب الفاتن الذي كان لايزال يبتسم بشدة وهو ينظر إليها.

كان الشعور بالخجل يتملكها من جراء مفاجاتها في هذه الحالة السيئة أمام رجل مثله، لم تشعر من قبل بكل هذا الإحراج، أدركت ذلك فجأة بكل مرارة؛ احمر وجهها من الخجل ولكنها استطاعت أن تكون ردا:

– إنها ليست هنا لقد ذهبت إلى "الدنمرك".

واستدرك الرجل الشاب مستفهما ومبديا ابتسامة غريبة زادت من اضطراب المرأة الشابة:

– إلى "الدنمرك"؟

وصرخ الرجل ذو البدلة قائلا:

– إلى "الدنمرك"؟ تفاهة!

وبحركة تعبر عن انزعاجه قام بإخراج ورقة من فئة الدولار الواحد ومد يده ناحية "بيب":

– كوني فتاة ظريفة واذهبي لإحضار الدكتورة "لي بارون"؛ لأننا نريدها في أمر مهم، سوف ننتظرها في بيتها. وبدون أي كلمة إضافية استدار الرجلان وتركاها مذهولة وممسكة بورقة الدولار في يدها.

تمتمت بصوت منخفض وهي ناقمة على قصر قامتها ووجهها الطفولي:

– لقد ظنا أنني مراهقة صغيرة.

في الواقع أنها اكتشفت أنها لعبت دور المراهقة الخجول لدرجة أقنعتهما، وفي نفس الوقت الذي كانت تدس فيه ورقة الدولار في الجيب الخلفي لبنطلونها الجينز سمعت صوتا غليظا يأتي من خلف ظهرها رأت "بيب" أن الشاب الجذاب عاد إليها وكأنه كان يستمتع. باضطرابها.. مما سبب لها انزعاجا. دققت النظر أكثر في وجهه وتأكدت من أنه ليس رهيبا بالصورة التي كانت تعتقدها، وبررت انجذابها نحوه على أنه من أثر الجوع الذي كانتتشعر به. لكنه استمر مع ذلك في تثبيت نظره عليها. وكان هو أيضا أطول منها قليلا بالرغم من أنه ليس مثيرا للانفعال مثل الشخص ذي البذلة الذي كان معه منذ قليل.

وسألته "بيب" بانزعاج:

– من أنتما على وجه الدقة؟

ورد هو قائلا وكانت هي ترمقه بنظرة ذهول:

– لقد خرجت من تلك الحشرة الطائرة، المروحية التي هبطت منذ قليل: أنا قائدها.

نزع طاقيته وقام بحركة احترام قصيرة وغريبة:

– "سوبر هايس"، في خدمتك سيدتي، وأنت؟

واستمر في ابتسامته المستهزئة المرسومة على ركن شفتيه.

– إنني "بيب" الـ... "بيب" فقط.

– الدكتورة "لي بارون". أليس كذلك؟

وردت هي بغيظ:

– نعم، أرجو منك المعذرة؛ فعندي عمل يجب أن أنتهي منه. إنني تعطلت بما فيه الكفاية.

وقبل أن تتحرك أمسك بذراعها وقال:

– لابد لك أن تنظفي أولا هذا الطلاء الذي تساقط على قدميك.

نظرت إلى أسفل وظهرت على وجهها علامة تعجب.

واستطرد "هايس" قائلا وهو يحمل قطعة من القماش ويريد أن يمررها على الحذاء الرياضي للمرأة الشابة:

– دعيني أعتني بذلك، هكذا، أعتقد أن هذا سوف يفي بالغرض، هل عندك فرشاة ثانية؟

– لماذا؟

– لكي أساعدك طبعا، حتى يكون العمل أسرع وأيضا سيكون الأمر أكثر متعة إذا ما قام شخصان معا بهذا العمل.

همهمت برضا وأشارت لقائد الطائرة لتدله على مكان دلو طلاء كبير فارغ يحتوي على الكثير من الفرش الخاصة بالدهان. قام باختيار إحداها بانتباه بدأ يدهن بهمة. استطاع بعد عشر دقائق أن يدهن جزءا كبيرا من سطح الهيكل المراد طلاؤه.

وابتسم قائلا:

– عليك أن تسرعي؛ لأنني سأفوز عليك بهذه الطريقة وردت قائلة وهي تزيد من سرعتها في الطلاء:

– لم أكن أعلم أننا نتسابق.

رد الرجل وهو يزيد من سرعته أكثر فأكثر دون أن يضيع أي ضربة للفرشاة:

– بلى، بلى.

حاولت "بيب" مسايرة إيقاع "هايس" ولكنها فشلت في ذلك. فلقد أنهت طلاء الجزء الخاص بها بعده بعشر ثوان.

صرخ هو قائلا:

– انتصرت!

– هذا ليس عدلا، لقد بدأت قبلي.

– ولكنني قمت بدهن ضعف المساحة التي قمت بها أنت. وتناول علبة

صودا من صندوق المثلجات وأعطاها إلى المرأة الشابة، التي شربت منها جرعة طويلة لتعيدها إليه ثانية. وقام هو بشرب ما بقي منها دفعة واحدة قبل أن يلقيها بحركة متقنة داخل صندوق المثلجات. ثم أخذ سندوتشين وأعطاها أحدهما، وجلسا على الأرض ليتناولاهما.

سألته "بيب" في حيرة:

– ماذا يفعل هذا الرجل هنا؟

رد وهو يلتهم سندوتشه:

– "ليونارد هوكر"؟ إنه يعمل بمؤسسة "ميرث"، إنه يحاول أن يقنعك بقبول وظيفة، أظن أنها ستعجبك.

– لقد أخذت إجازة بدون مرتب لعدة شهور.

سألها "هايس" وهو يلتهم بشراهة سندوتشا آخر:

– لماذا؟

– إنها قصة طويلة.

اعتدل في جلسته وقال:

– لدينا كل فترة الظهيرة.

– إنني أعمل على وضع برنامج شخصي يحمل عنوان "من أجل تنمية اجتماعية سريعة".

– هل هو جيد؟ أي نوع من البرامج هو؟

ردت وهي تتنهد:

– من أجل تنمية اجتماعية سريعة، إنه برنامج فرضته على نفسي؛ لأنني اكتشفت مؤخرا أنني متخلفة اجتماعيا.

– عفوا؟

كررت الشابة كلامها بنفس الصبر الذي تستخدمه لتعليم الأخوين "ستراهان" مادة الحساب:

– أنا متخلفة اجتماعيا.

قال "هايس" وهو يبتسم:

– إنني متأكد أنك تستهزئين بي.

www.elromancia.com

– لا، أؤكد لك أنها الحقيقة.

وبدون إخفاء سخريته سألها الرجل:

– وما هو السر وراء صحوة الضمير هذه؟

– لقد تم اختياري في إطار دراسة تتعلق بالنمو الاجتماعي للأطفال الموهوبين. وكانت الفرضية أن الكثير منا يصل إلى سن الرشد مصحوبا بضمور في النمو الاجتماعي . تعتبر حالتي مثالا كلاسيكيا لذلك؛ لأنني متفوقة دراسيا، كان علي دائما أن ألتحق بأقسام كان الطلبة فيها يكبرونني في السن، ولكنني كنت أصغر من أن أشاركهم نشاطاتهم الخارجية. أما أقراني فكنت أجد أنهم مضجرون ومتخلفون. ماذا كنت ستفعل لو أنك وجدت نفسك مبكرا كخبير في مادة الجبر وأنك تحفظ مؤلفات "شكسبير" عن ظهر قلب في الوقت الذي كان فيه أقراني غير قادرين على إجراء عملية قسمة؟ لقد كنت منبوذة من الجميع.

استدرك قائد الطائرة وهو يتمتم مع ظهور علامات الجدية على وجهه قائلا:

– إنني آسف. لم أكن أعلم أن هذا يمكن أن يحدث مع أنني شخصيا كانت لدي صعوبات في طفولتي، هل كانت طفولتك تعيسة؟

– لا، لا نستطيع أن نقول ذلك؛ لأنني لم أكن أدرك هذه المشكلة قبل أن أقرأ الدراسة التي كانت تعنيني بعض الشيء. وعندها تولد عندي– في الحقيقة– شعور بأنني حالة ميؤوس منها.

– لكنك بالتأكيد قد حظيت بوالدين محبين وحانيين؟

– في الواقع لا أتذكر والدي. لقد قتلا في حادث أثناء وجودهما في "شيلي" عندما كنت صغيرة جدا. كانا يعملان هناك كمهندسي مناجم. لقد عشت مع عمّي اللذين كانا خير عوض عن والدي.

ابتسمت وواصلت حديثها:

– إن عمّي كانا غير متزوجين وكانا يسكنان في نفس المنزل، لقد كانا بالنسبة لي ولأخي كل أهلنا. عندما وصلت إليهما كنت قد تعلمت المشي منذ وقت قريب. وكانا لا يعرفان طبعا أي شيء فيما يخص الأطفال

ولكنهما قاما بتعيين "نان"، التي سبق أن التقيتما بها من قبل؛ لكي تعتني بي. وكانا يعملان بالتدريس في جامعة "رايس" التي كانت قريبة جدا من مسكننا، وكنت دائما سابحة في جو دراسي وراشد، وعندما انتبها إلى موهبتي الدراسية سمحا لي بالجلوس معهما عندما كانا يتناقشان في مواضيع الفيزياء التطبيقية أو الرياضيات، وسرعان ما التحقت بجامعة "رايس".

– ما المواد التي كانا يقومان بتدريسها؟

– إنهما مازالا يعملان بالتدريس، فالعم "والدو" دكتور في الفيزياء، والعم "إيموري" في الرياضيات. وساد الصمت بينهما لفترة وجيزة، كانت أسماعهما متجهة إلى صوت الأمواج الرقيق تصطدم بهيكل القارب. وبالرغم من كونها غير كتومة تماما إلا أن "بيب" تعودت ألا تتحدث عن حياتها كثيرا، لقد كانت تفضل دائما الحديث عن العلم أو عن حبها الأوحد: الحاسب الآلي.

وكانت المرأة الشابة تملك معرفة عظيمة في كل ما يتعلق بهذه الآلات وكانت قادرة على خلق أي نوع من البرامج. وكانت أيضا خبيرة للبرمجة في شركة المعلومات التي كان يملكها أخوها.

كما أنها صممت بعض البرامج لوكالة "ناسا"، ولوزارة التعليم، وأيضا بعض الألعاب الفضائية مع استمرارها في عمل الأبحاث وإلقاء المحاضرات في جامعتها.

كانت "بيب" تعتقد دائما أن حياتها سعيدة وممتعة إلى أن قامت بقراءة رسالة الدكتوراة التي قامت بها "كارول فينهويزن"... فقد اكتشفت وقتها المفاجأة المذهلة، وهي أنها كانت تتصرف دائما كطفلة في العاشرة من عمرها.

قال "سوبر":

– لقد افتقدت أشياء كثيرة.

– هذا بالضبط ما اعتقدت أنني فهمته.

– ولكن ما علاقة ذلك برفضك للعمل؟

www.elromancia.com

– إن الأمر يبدو بسيطا جدا. بعد أن اكتشفت أن شخصيتي الاجتماعية هي تقريبا نفسها قبل ستة عشر عاما من الآن، بمعنى أنها كانت غير موجودة، أردت أن أقوم بعمل أبحاث ولكنني لم أكن أستطيع تعلم ما ينقصني وأنا أعمل؛ لأن النقائص الاجتماعية التي أعاني منها كانت أساسا خارج مجال العمل، ففكرت أن أحسن طريقة أستطيع بها إتمام أبحاثي هي أن أضع نفسي في قالب اجتماعي مختلف يسمح لي بالتواجد في وضع أكثر ملاءمة لحل هذه المشكلة.

قال "هايس" وهو يرفع عينيه إلى السماء ثم يخفضها ثانية نحو المرأة الشابة:

– لم أفهم شيئا قط مما تتكلمين عنه، كما لا أفهم أيضا ما الداعي لأخذ إجازة بدون أجر.

– لأنني قمت بعمل خطة سوف تشغل كل وقتي ولمدة طويلة، إنني أشعر بأنني متأخرة في نموي الاجتماعي لدرجة تجعلني أبدأ من البداية.

– ولكن كيف يمكنك البدء؟ بدء ماذا؟ ومن قال: إنك سوف تنجحين؟

– لا توجد أية أسباب للفشل، حتى إنني استعنت بـ"كارول فينهويزن" لتطوير المشروع بالكامل، ومثال على هذا، أنني أنضم بانتظام إلى مجموعات من الأطفال والمراهقين من مختلف الأعمار وأحاول أن أعيش مثلهم ومعهم. وخلال ثلاثة أشهر وجدت أنني قد انتقلت من الطفولة إلى المراهقة... كان "سوبر هايس" يحملق في الفتاة باستغراب. وكانت الجدية التي تتحدث بها معه عن نقائصها الاجتماعية تجعلها لطيفة جدا لدرجة تقترب من الجاذبية. وللحظات تملكه شعور جامح بالرغبة في الإمساك بيدها.

قال لها:

– لابد أنك قطعت مشوارا طويلا إلى أن وصلت إلى هنا، ولكنني متأكد أنك تستمتعين جدا بمحاولة تعويض ما فاتك.

ساد صمت طويل كانت "بيب" أثناءه تبدو وكأنها تفكر. ثم رفعت رأسها بفخر في اتجاه قائد الطائرة:

– طبعا. لقد انضممت إلى الكشافة، وأحاول تعلم لعبة "البيس بول" وغدا سوف تعلمني "نان" طريقة عمل الحلوى بالفانيليا.

أدار "هايس" رأسه محاولا إخفاء ابتسامة عريضة ظهرت على وجهه لم يكن يريد أن تعتقد الفتاة أنه يسخر منها. ولكن حدسه كان يخبره أنه أمام شخصية جديرة بالاهتمام.

عادت الفتاة للحديث مرة أخرى وقالت:

– كما ترى الآن. إن وقتي كله مشغول بواسطة إعادة تأهيلي الاجتماعي، أظن أنك فهمت لماذا لا أستطيع منذ ذلك الوقت قبول أي عمل ولمدة شهور قادمة. وأتمنى أن يتفهم رئيسك ذلك أيضا.

– "ليونارد" ليس ر...

قطعت صرخة قادمة من البحيرة كلام "سوبر". كان قارب صغير تحرك يتجه نحوهما، كان بداخله طفل وطفلة صغيران يرتديان سترة الإنقاذ، كان شعرهما أصفر، وكانا يلوحان إلى "بيب".

قالت "بيب":

– شكرا لمساعدتك إياي في إنهاء عملية الطلاء، لكن يجب أن أتركك الآن فقد حان وقت درس "البيس بول" مع أبناء "ستراهان".

رد هو قائلا بعد أن ارتدى طاقيته من جديد:

– أظن أنه بإمكاني البقاء قليلا، إنني شخصيا رام جيد.

*****

– ماذا تقصد بكلمة إقصاء؟ إنني حتى لم أضرب الكرة.

اقترب "هايس" من الفتاة وانحنى نحوها حتى كاد أنفاهما يتلامسان ثم أجاب:

– بالضبط كان عليك أن تلمسيها، كانت جيدة وقمت بإضاعتها.

– لم تكن جيدة.

– بل كانت كذلك.

– لا.

www.elromancia.com

– ما عليك إلا أن تسالي الثوءمين أو "ليونارد".

كان رجل الأعمال قد خلع سترته وربطة عنقه ويقف في مكان الواقي، هز رأسه معبرا عن قرار لا رجعة فيه.

خفضت "بيب" رأسها من الإحباط ثم قالت:

– أظن أنني غير موهوبة في هذه اللعبة.

طوق قائد الطائرة كتفي الفتاة بذراعه وقال لها محاولا تهدئتها وهو ينظر إلى ساعته:

– لا عليك، يجب أن تتدربي أكثر فقط، أما الآن. أظن أنني و"ليونارد" يجب علينا أن نرحل إذا أردنا العودة إلى "هيوستن" قبل حلول الظلام. كما يجب أن يعود كل من "مايك" و"سيسي" في ميعاد العشاء. أليس كذلك؟

تبادل كل الموجودين تحية الوداع وبمجرد وجودها بمفردها قامت "بيب" بجمع أدوات "البيبس بول" ورتبتها بعناية.

تناولت عشاءها بسرعة ثم قررت أن تقوم بجولة بالقرب من البحيرة بدلا من البقاء في المنزل لمشاهدة المسلسلات التليفزيونية المخصصة للأطفال والتي كانت معتادة على متابعتها وذلك تبعا لبرنامجها.

سلكت طريقا ضيقا أدى بها إلى أكثر شواطئ البحيرة وحشة. كانت نسمة المساء تجعلها تقشعر لكن ليس من البرد. لم تأبه إلا لسكون الطبيعة الرائع في وقت الغروب. يالله من يوم غريب... حتى هذا اليوم، كان برنامجها يبدو ذا معنى، فقد نجحت في اكتشاف هذا المكان الذي كانت تقضي فيه ساعات طويلة مع "مايك" و"سيسي ستراهان" وأصدقائهما من نفس السن لكي يتلقوا دروسا خاصة في الرياضيات. كانت واثقة من أنها على حق، وأن خطتها تسير كما يجب. لكن زيارة "ليونارد هوكر" و"سوبر هايس" أدت إلى صحوة قلق مكبوت بداخلها. خاصة عندما بدأت تفكر في قائد الطائرة.

كان لوجه الرجل المبتسم وعينيه الماكرتين مفعول غريب على "بيب" كما أن الطريقة التي كان ينظر بها إليها جعلت الفتاة تشعر بقشعريرة

تسري في جسدها؛ لتولد لديها أحاسيس لم يسبق لها معرفتها من قبل. لقد أعجبتها طريقة ضحكه التلقائية والصريحة.

تردد بداخلها فجأة سؤال جعل وجهها شاحبا وبطنها يتقلص:

– هل كان يسخر مني؟ ربما كان يجدني غير مهذبة؟

مرت لحظة؛ أحست أن لديها رغبة في البكاء وارتعدت.

لم يسبق لها أبدا أن كانت على وشك الانهيار والبكاء مثل هذا اليوم. وجلست على جذع شجرة ميتة.

– لماذا أهتم لهذه الدرجة بما يظن عني هذا الغريب؟ لأول مرة في حياتها يتعرض ذكاؤها لتحد خارجي بالرغم من أنها كانت ماهرة في جدولة وترتيب وتنظيم كل شيء إلا أنها الآن ولأول مرة أمام مشكلة لا تجد لها حلا. لكن شيئا ما بداخلها جعلها تهدأ بسرعة. فقد اختارت طريقة تسمح لها بتجاوز ما ظنت أنه عائق، وقررت أن تخوض التجربة حتى النهاية. ما دام أنه لا يوجد شيء جديد تحت الشمس فليس من المستحيل أن تجد حلولا لأي مشكلة تتعرض لها مهما كانت صعبة.

انفرجت أسارير الفتاة بابتسامة وعادت إلى المنزل وهي تركل بمرح بعض فروع السرو المتساقطة على الطريق.

*****

دخل رجلان في مصعد ناطحة سحاب زجاجية كبيرة في حي الأعمال بمدينة "هيوستن".

وأثناء صعود المصعد إلى الطابق الخامس والعشرين من المبنى الذي يحتوي على مقر شركة "ميرث".

قال "ليونارد هوكر" وهو يحدث رفيقه:

– إن تلك الفتاة غريبة الأطوار حقا، من كان يصدق أن عالمة مثلها يمكن أن تتصرف وكأنها طفلة لم تبلغ سن المراهقة بعد؟ إنه أمر يصعب علي تصديقه.

لم يجب "سوبر هايس". كان يبدو في حالة تفكير، تائها بين أفكاره.

وصلا في النهاية إلى المكتب الرئيسي ودخلا إليه. قام "هوكر" بتناول مشروب أما "هايس" فالقى بنفسه على الأريكة.

وتساءل "هوكر" وهو يوجه خطابه إلى قائد الطائرة:

– هل نحتاج إليها فعلا من أجل مشروع هذا البرنامج ذي الحقيقة الوهمية؟

رد "هايس" وهو يضع يديه على بطنه:

– إنها تعتبر الأفضل في مجالها، وشركة "ميرث" تقوم دائما بتوظيف الأكفاء أليس كذلك؟ وبالتالي يجب علينا توظيفها، المشكلة الوحيدة هي رفضها قبول أي عمل لفترة معينة.

رد "ليونارد":

– دع الأمر لي، إنها مثل أي شخص يعرف إمكاناته وثمنه. فلتعرض عليها مكافأة إضافية وأنا متأكد من موافقتها.

– يا عم "لين"، إنني أعرف جيدا سمعتك كمفاوض وهي مستحقة لكننا هذه المرة في مواجهة شخص مختلف، وربما وجب علينا أن نكون أكثر ذكاء. إن الأسباب التي تدفعها إلى رفض العمل خاصة جدا، دعني أعتني بالأمر.

لم يكن "سوبر" يريد أن يعرف عمه مدى شدة إعجابه بالفتاة. ولو أحس "ليونارد" بما يجول بخاطر الشاب لأنبه بشدة مدعيا أنه لا يقوم بعمل أي شيء بجدية. وكان هذا الأمر يحدث منذ زمن بعيد لدرجة أن "سوبر" لم يعد يأبه بعتاب عمه على كل تصرفاته. ثم قام وتوجه إلى المكتب الضخم الذي كان يشغل الغرفة وبأخذ منه ملفا.

مد يده بالملف إلى عمه وقال له:

– اعتن أنت بهذا صباح غد، يجب علي الذهاب إلى المكتبة الآن قبل أن تغلق أبوابها.

– إلى المكتبة؟

– نعم. لابد أن أطلع على النظريات الخاصة بالتنمية الاجتماعية، هل تعلم عنها شيئا؟

صرخ رجل الأعمال وهو ينظر بنظرة محققة:

– طبعا لا! ولكن ما هو سبب هذا الاهتمام المفاجئ بهذا الموضوع بالذات؟

ابتسم "سوبر" لعمه. وقال له:

– الدكتورة "بيب".

خالجت الشاب فكرة:

– لابد أن يثق بي في النهاية كما يجب عليه أن يقبل الأمر الواقع بأنني أنا المدير.

– أرجو ألا تكون هذه إحدى ألاعيبك، وألا تعود ثانية إلى الاختفاء في مكان ما. لا تنس أن جمعية المساهمين منتبهة جيدا لكل تحركاتك وأفعالك.

قاطعه الشاب وهو يتجه نحو باب الخروج قائلا:

– اهدأ قليلا يا عم "لين"، حاول فقط أن تثق بي، ولو من أجل التغيير.

الفصل الثاني

– ألا تجدين يا "بيب" أنه جميل؟ ألا ترين أنه يشبه "جوني ديب"؟

– من؟

– "سوبر".

ابتسمت "بيب" وهي تنظر إلى الطبق الكبير المليء بالحلوى. وقالت وهي تحمر من الخجل:

– إنه جميل جدا.

كان على الفتاة أن تعترف أنها لم تكن تحتاج إلى صديقتها لكي تذكرها بوجود هذا الشاب. ففي الواقع لم يحدث أن غاب "هايس" عن فكرها. وكانت كل مرة مصحوبة بنظرة طويلة حالمة وبدون أن تنسى القشعريرة التي كانت تسري في كل جسدها والتي بدأت تزعجها. وفجأة

ظهر صوت يأتي من خلف ظهريهما:

– صباح الخير يا آنساتي، أخبرتني "نان" أنني ساجد كما هنا، هل تريدان مساعدة؟

التفتت "بيب" لتكتشف أن الشاب يقف في المدخل وأصابها ذهول من المفاجأة.

وتساءلت:

– لماذا هو دائم الابتسامة هكذا؟

بهرها تعبيره المبتهج لدرجة جعلت "بيب لي بارون" ترى أن هناك شيئا مختلفا تماما أنار الغرفة فجأة. وكانت تعلم جيدا أنها ليست لديها أي ممانعة ضد هذا الحضور الجديد. هل كان السبب هذه الابتسامة الساحرة فقط؟ أم أن هناك شيئا آخر؟

وكانت "سيسي ستراهان" أول من قطع الصمت وقالت الفتاة الصغيرة بحماس:

– اهلا، "سوير". لقد كنا نتحدث عنك الآن.

حاولت "بيب" إخفاء حرجها بأن انعكفت بنشاط على تحضير كريمة الحلوى، وفي لحظة رفعت بصرها في اتجاه الشاب الذي غمز لها بعينه؛ مما جعلها ببساطة تحمر لدرجة كبيرة.

تساءل هو بمرح:

– كنتم تتحدثون عني؟ بكل خير أليس كذلك؟

وردت "سيسي" بسرعة:

– طبعا.

هذه المرة انتبه "سوير" بوضوح إلى اضطراب "بيب". وكان سعيدا بفكرة أن الفتاة تهتم به كما يهتم هو بها.

– تفحصها ورأى أنها بالرغم من قامتها القصيرة إلا أن جسمها كان متناسقا. ولكن الذي لفت انتباهه بشدة كان ثغرها المرسوم بطريقة رائعة جعلته مذهولا. ولم ينتبه إلى ذلك بالأمس.

وساورته فكرة ملحة:

– إنها خلقت لتقبل.

بدون نظارتها الشمسية وواقي الأنف الذي كانت ترتديه أصبحت الدكتورة "لي بارون" فتاة رائعة الجمال. بكل ثقة في نفسه– والتي لم تترك المجال لظهور اهتمامه الكبير بها– تقدم من الطاولة وأدخل إصبعه في العجينة ليتذوقها.

وقال:

– ليست سيئة، ولكن من الأفضل أن تخفق أكثر من هذا.

ردت "بيب" منزعجة:

– لا أعتقد أنه يمكنني أن أفعل أحسن من هذا، لقد قمت بخفقها حتى آلمتني يداي، لا يمكن أن تكون كثافتها أكثر مما هي عليه الآن وبدون أن يتكلم. مرر "سوير" ذراعيه حول "بيب" وتناول المضرب والطبق، محاصرا الفتاة بصدره، وهمس في أذنها:

– اتركي رجلا محترفا يفعل ذلك.

وبدأ يعطي ضربات قوية للخليط.. ولكن المرأة الشابة التي اضطربت من تأثير هذا الاتصال الجسدي سرعان ما قاطعته فجأة قائلة وهي تبتسم ابتسامة سخرية:

– ألا تعتقد أن الأمر سوف يصبح أسهل بكثير إذا لم أكن موجودة بينك وبين الطبق؟

– لا، لا، على العكس، إن وجودك بالقرب مني يساعدني ويلهمني، أين البندق؟

وهنا تدخلت "سيسي" بأن مدت إليه وعاء مليئا بالبندق.

قال "سوير" وهو يبتعد عن "بيب" بدون أن يتوقف عن خفق المزيج:

– ضعيها بداخله.

وهمس في نفسه:

– لا داعي لفعل المزيد أمام الطفلة الصغيرة.

وبعد لحظات قام بإدخال إصبعه في الطبق من جديد وتذوق المزيج وقال بصوت مرتفع:

www.elromancia.com

– هكذا يجب أن تكون الحلوى، إنها رائعة، من يريد شيئا منها؟

ولم يتردد في وضع إصبعه داخل الطبق مرة أخرى ليمده في اتجاه الفتاة. ترددت قليلا قبل أن تتذوق إصبعه المغطى بالعجينة والبندق.

تمتمت وهي محرجة قليلا:

– إنها طيبة المذاق.

– ألم أقل لك، هيا أكملي.

أحس "سوبر" أنها مضطربة، وأنها لا تعرف ماذا تفعل. ولكنها في النهاية فتحت فمها من جديد لتلعق إصبعه ثانية. سرت قشعريرة في جسد الشاب كله، لم يكن يتخيل أبدا أن قليلا من الحلوى يمكن أن يؤدي إلى هذه الاستثارة الجسدية.

– "سوبر"، "سوبر" هل من الممكن أن تقوم بمساعدتي أنا أيضا؟

كانت "سيسي" تقول ذلك وهي تمد نحوه طبقها.

ابتسم للفتاة الصغيرة ثم قام بخفق الكريمة حتى أصبحت بدورها جيدة. تذوقها عدة مرات وقال للطفلة الفخور:

– لم أتذوق قط حلوى أفضل من هذه.

ابتسمت "بيب" بالرغم من اضطرابها، وتفادت نظراته. لم تكن تعلم ماذا تفعل أو ماذا تقول، وكانت "سيسي" من جديد هي التي قطعت الصمت المشوب بالإحراج:

– أعتقد أنه حان الوقت بالنسبة لي للعودة إلى المنزل، كنت أود البقاء معكما لفترة أطول.

ردت "بيب":

– نحن أيضا، غير أننا وعدنا أبويك بأنك سوف تعودين إلى المنزل في العاشرة والنصف. أعتقد أن عليك أن تسرعي إذا أردت ألا ينشغلوا عليك.

قبلت الفتاة الصغيرة الأمر الواقع ونظرت إلى "سوبر هايس" نظرة غريبة وقالت:

– حسنا.

ابتسم لها وغمز لها بعينه، مما جعل "سيسي" تحمر من الخجل، ثم قامت "بيب" بلف طبقها وأعطته لها. وخرجت الفتاة الصغيرة مسرعة دون أن تقول كلمة واحدة.

كانت المرأة الشابة تعرف ما تحس به الطفلة، وكانت تتمنى فقط أن تستطيع قدر الإمكان إخفاء شعورها أكثر من صديقتها الصغيرة.

هل كان هذا ما يحس به المراهقون؟ بالنسبة لها لم يحدث أن شعرت بمثل هذا الشيء أثناء فترة المراهقة الخاصة بها.

أدخل "هايس" إصبعه مرة أخرى في الحلوى ثم قال:

– ما هي مشاريعك فيما تبقى من هذا اليوم؟

– بما أن الأطفال سوف يذهبون لزيارة جديهما في نهاية الأسبوع، كنت أنوي أن أعكف بجد على مشروع عش الطيور.

تعجب وهو يعض على شفتيه ليمنع نفسه من الضحك وقال:

– عش الطيور؟

نظرت إليه، ورأى أنها تضايقت من رد فعله.

– ما العجب في بناء عش للطيور؟ إنه نشاط يتعلق ببرنامج تنميتي الاجتماعية.

تدارك نفسه بدبلوماسية:

– لا أشك في ذلك أبدا. لكنك سوف تفعلين ذلك في يوم آخر؛ لأنني أريد أن أصطحبك إلى مكان معين. سأذهب لإخبار "نان" بأننا خارجان بينما تصلحين ماكياجك.

– هل أستطيع أن أعرف إلى أين سوف نذهب؟

رد بأسلوب يشوبه الغموض:

– إنها مفاجأة.

عندما عادت إليه، لاحظت "بيب" بسرعة أن هناك شيئا غير طبيعي في حالة "هايس".

– ماذا بك يا "سوبر"؟ تبدو محبطا.

رد عليها بهدوء:

www.elromancia.com

– كنت أعتقد أنك سترتدين سروالك القصير، إنني أحب أن أنظر إلى ساقيك.

تساءلت باهتمام واضح:

– صحيح؟

أكد الشاب ذلك بقوله:

– بكل تأكيد، إن لديك ساقين جميلتين جدا.

– أتجد ذلك حقا؟

– ألا تنظرين قط إلى نفسك في المرآة؟

– بلى، ولكنني أجدهما عاديتين جدا.

– صدقيني، إنك مخطئة. ولن تقنعيني بأن أحدا لم يمدح ساقيك من قبل، فلن أصدقك.

– آسفة أن أخيب ظنك، ولكنني لا أتذكر أن أحدا فعل ذلك من قبل. ولكنني تلقيت ثناء بخصوص ذكائي، وسرعتي في حل المسائل الرياضية وذكائي التحليلي... لكن ساقي، أبدا، عذرا. هل تعتقد أنه يجب علي أن أغير ملابسي؟

– كلا، لا داعي لذلك في الواقع؛ لأنني كنت سأنشغل بجمالهما أثناء قيادتي للطائرة المروحية؛ مما قد يجعلني أصطدم بأول ناطحة سحاب تقابلني، هيا بنا يا جميلتي، فلنغتنم ما تبقى من اليوم.

– هل سنستقل طائرتك المروحية؟

أجابها وهو يدير ظهره ليتجه إلى باب الخروج:

– نعم.

سرعان ما لاحظت المرأة الشابة طريقة سيره الغريبة:

– قل لي يا "سوير". هل يؤلمك ظهرك؟

– كلا، لماذا؟

– لقد لاحظت أنك تسير بطريقة غريبة.

أجابها بنوع من الحسرة:

– إنك تتقنين جيدا طريقة إحراج الرجال. لقد كنت أحاول فقط أن

ألفت انتباهك بطريقة "جون واين" في السير.

– أوه...

– تعرفين "جون واين"، أليس كذلك؟

ردت الفتاة بمرح:

– طبعا، لقد شاهدت كل أفلامه بما فيها "القبعات الحمراء" وهو أسوأ أفلامه.

وصحح لها:

– تقصدين "القبعات الخضراء".

– لا يهم، إنه فيلم سخيف يدور حول حرب "فيتنام".

– عزيزتي الدكتورة "لي بارون"، ألاحظ بالرغم من كل شيء أن هناك نقائص كبيرة في ثقافتك، ولست أدري ماذا سوف يصنع تعليمي المتواضع لعلاج هذه النقائص.

– أفضل ألا تدعوني بلقب "دكتورة"، فإنني لا أستخدم هذا اللقب إلا في علاقاتي العملية؛ بالإضافة إلى أنني أحس في طريقة استخدامك له بنوع من السخرية الجارحة والتي لا أستسيغها أبدا.

اعترض "سوير هايس".

– لم أقصد مطلقا أن أسخر منك، بل إنني معجب بكل هذا العلم الذي يتبع لقبك. أنا شخصيا لم أذهب قط إلى المدرسة.

– إنك تمزح بالتأكيد.

– إطلاقا، ولا حتى إلى الحضانة.

نظرت إليه "بيب" بكل ذهول وصرخت:

– إن هذا شيء إجرامي! أين نشأت؟

– في "هيوستن". كان لدي بالطبع عدد كبير من المعلمين وكنت أقرأ كثيرا لكنني لم أضع قدمي أبدا في أي مدرسة. وكانا قد وصلا إلى الطائرة، قام "سوير" بفتح بابها وساعد الفتاة على الركوب.

بعد أن أخذت "بيب" مكانها تساءلت في إلحاح:

– ولماذا ذلك؟

www.elromancia.com

– سوف أخبرك لاحقا. هل سبق لك ركوب هذا النوع من الطائرات؟

– طبعا. لقد كنت أستخدمه في تنقلاتي عندما كنت أعمل كمستشار متنقل لشركة أخي. وقد كان عندي رغبة في تعلم قيادتها.

– ولماذا لم تقومي بذلك؟

– لأنني كنت متأكدة من أنني لن أكون قائدة جيدة. عندما يكون ذهني مشغولا بمسألة ما، يقل انتباهي للأشياء مما يؤدي بي إلى ارتكاب الحماقات. لقد حدث لي هذا مرات عديدة في السيارة، كنت أعمل في "ناسا" على مشروع مهم جدا. وفي أحد الأيام، ذهبت في الصباح لشراء بعض المواد الغذائية من السوبر ماركت الذي يقع بالقرب من المنزل وكان ذهني مشغولا في برنامجي، لدرجة أنني اكتشفت أنني قمت بقطع مسافة ثلاثمائة كيلو متر بعيدا عن المكان الذي كنت أقصده، ولذلك فضلت أن أعين سائقا. هل حدث لك هذا من قبل؟

كان هناك شيء يرتسم على وجه الفتاة في هذه اللحظة، لم يكن غريبا عن "سوير" الذي سرعان ما تعرف عليه: الإحساس بالوحدة. كان هو نفسه يشعر فجاة بالوحدة والضياع، لم يكن يعرف ماذا يفعل وكيف يتصرف معها.

ورد عليها بهدوء وهو يضع قبلة حنونا على أنفها:

– مرة أو مرتين.

فوجئت، ونظرت إليه طويلا، لم تكن تعرف كيف تتصرف، كانت تقاوم رغبة شديدة تدفعها لتقبيله، أغلق الشاب باب الطائرة واتجه ليأخذ مكانه في غرفة القيادة وبمجرد أن ثبت نفسه على كرسيه أدار رأسه نحو العالمة الشابة وقال بلهجة ذات طابع خاص:

– حسناً، نستطيع أن ننطلق الآن يا آنستي!

ابتسمت "بيب" وهي تقول:

– أعتقد أنك مازلت تقلد "جون واين". أليس كذلك؟

هز رأسه بالسلب ورد عليها وهو يبتسم:

– خطأ، لقد كنت أقلد "جيمس ستيوارت" هذه المرة.

بمجرد أن أبطل "سوير" محرك الطائرة قفز منها واتجه بسرعة ليساعد الفتاة على النزول.

تلفتت من حولها ثم سألته:

– أين نحن الآن؟

لقد اكتشفت أن قبلة "هايس" على أنفها هزتها بشدة لدرجة أنها لم تنتبه إلى مكان هبوطهما، بل أكثر من هذا، إنها حتى لم تدر أي اتجاه سلكاه. ولكنها كانت متأكدة من أنه عندما قبلها على أنفها كان ذلك دليلا على شخصيته المتفتحة وأنه لم يكن هناك أي ريب في دوافع هذا الرجل. وكانت تحس بالإحباط أكثر مما كانت تظن.

رد "هايس" وهو يلوح بيديه في حركة دائرية واسعة:

– إننا فوق قمة المبنى الخاص بشركة "ميرث، جرينواي بلازا، هيوستن، تكساس".

أشار لها إلى مكان المصاعد وابتعدا عن الطائرة المروحية.

– لماذا نحن هنا؟

أجابها هو بطريقة محيرة:

– لقد قلت لك: إنها مفاجأة.

قام باستدعاء المصعد بواسطة كارت مغناطيسي، انفتحت الأبواب ودخلا فيه، ثم قام "هايس" بالضغط على زر الدور الرابع بدون تردد. وبعد وصولهما إلى الدور المطلوب، انفتحت الأبواب ظهر وراءها رواق صامت، خال وذو إضاءة ضعيفة.

سألته "بيب" في قلق:

– هل أنت متأكد من أنه مسموح لنا بالتواجد هنا؟

وفجأة، سمعا صوت خطوات مكتومة بواسطة البساط الكثيف.

التفت "سوير" نحوها ودفعها خلف مجموعة كثيفة من النباتات وهمس لها:

– صمتا، سأتولى أمر الحارس.

التزمت الحائط بخوف شديد وجذبت نحوها أكبر عدد من الفروع.

www.elromancia.com

وأدركت أخيرا أنهما دخلا بطريقة غير شرعية إلى مقر الشركة، وأن "سوير" سوف يقوم بصرع الحارس الذي يتجه نحوه. لم يسبق لـ"بيب" أن واجهت موقفا أكثر خطورة ورعبا من هذا. فإذا ما تم القبض عليهما فإن سمعتها العلمية واسمها سوف يتمرغان في الوحل، وسوف تفقد بالتالي كل مصداقيتها أمام الناس وأمام المنظمات التي تعمل فيها. توقف صوت الخطوات في الوقت الذي كان "هايس" يختفي فيه من مجال رؤيتها، وساد صمت قصير.

– أوه، صباح الخير يا "سوير"، كيف حالك؟

– وأنت؟

– على ما يرام.

سمعت بعد ذلك صوت الخطوات يقترب منها. كانت تود لو أنها تستطيع الاختفاء داخل الحائط الذي كانت تستند عليه بظهرها.

وظهر "هايس" مع الحارس وهو يقول:

– إنني أقوم باصطحاب الدكتورة "لي بارون" في زيارة لمقر الشركة، يظهر أنها تعشق النباتات.

هدأت "بيب" في الحال بعد ما رأت الحارس يحييها بابتسامة وتركت الفروع التي كانت تختبئ وراءها.

– مساء الخير سيدتي.

أومأت إليه برأسها وكلها حرج، ثم قام الحارس بالابتعاد.

واستدارت نحو "سوير هايس" لتقول له وهي غاضبة:

– أيها الـ... إنك... استطعت أن تسخر مني!

ضحك هو ورد عليها:

– هل صدقت فعلا هذه التمثيلية؟

ردت عليه بتلعثم وهي تلوح بقبضة يدها مهددة إياه:

– لقد كنت مذهولة تماما، كنت أعتقد أنك سوف تصرعه.

عندما رأى أن المرأة الشابة مستعدة لأن تجعله يدفع ثمن سخريته. ابتعد عنها بخطوة سريعة. أسرعت وراءه وهي متذمرة وفي هذه اللحظة استدار

نحوها وأمسك بيديها ليجعلها تدور حوله وكأنه يداعب طفلا صغيرا.

وتحولت احتجاجات "بيب" شيئا فشيئا لتصبح في النهاية مشاعر سرور عارمة. وبعد لحظات كانت تضحك بصوت مرتفع.

توقف فجأة وقال لها:

– كم أحب طريقتك في الضحك، إنني أجدها معبرة جدا، يجب عليك أن تضحكي أكثر دائما.

وقبلها مرة أخرى على أنفها.

فتح "سوير" بابا مزدوجا كانا يقفان أمامه وابتعد ليسمح لها بالدخول. وقام بحركة احترام وقال:

– تفضلي.

سألته وهي تلتفت إليه وقد اعتراها شيء من القلق:

– هل من المسموح لنا حقا التواجد هنا؟

– ثقي بي، فأنا والمدير نحب الأمور الغريبة.

تعودت "بيب" على الضوء الخافت القادم من السقف واكتشفت وجود طاولة كبيرة جدا في نهاية الغرفة، كان موضوعا عليها عدة أجهزة كمبيوتر من الجيل الأخير.

جذبها "سوير" نحو هذه الطاولة، ووجهها إلى ركن كان يوجد به زوج من القفازات المغطاة بمستقبلات كهربائية صغيرة موصلة بنظارة كبيرة كانت هي الأخرى مغطاة بمستقبلات صغيرة، وكانت كل هذه الأدوات موصلة بدورها إلى حاسب آلي قوي.

سألها الشاب وهو يمد إليها النظارة:

– ألا يذكرك بشيء ما؟

– إنها مجموعة للعمل على الواقع الوهمي. لقد سبق لي العمل على الكثير من المشاريع المشابهة عندما كنت في "ناسا". كنا نستخدمها في برامج الطيران الاصطناعي للطائرات المقاتلة أو لتدريب طياري المكوك الفضائي.

قامت بوضع النظارة أمام عينيها وقالت بلهجة خبيرة:

www.elromancia.com

– إن هذه التجهيزات جيدة جدا. خفيفة وسميكة وجميلة أيضا. ماذا تنوون أن تصنعوا بها؟

– سوف ترين، تعالي معي.

لكن "بيب" لم تتحرك، وبدأت تنظر إلى رفيقها نظرة شك. وقالت:

– لن أتبعك إن لم أحصل على بعض التفسيرات.

– لقد أخبرتك أنها مفاجأة. أنا متأكد أنك سوف تستمتعين. هل يمكنك فقط أن تقفي فوق العلامات الموضوعة على الأرض؟

نظرت "بيب" بتفحص القطع اللاصقة التي تم لصقها على الموكيت، أحست بأن بطنها ينقبض ولكنها لم تستطع أن تحدد إذا ما كان السبب في ذلك هو الخوف أم الغضب.

– هل تحاول أن تستغل خدماتي بطريقة ملتوية؟

اختفت الابتسامة الدائمة من وجه "سوبر هايس" فجأة لتحل محلها نظرة قلق وقال بصوت مرتفع حتى يخفي شعوره:

– بالطبع لا! أعدك بذلك بل أحلف لك! لقد كنت أريد أن أصنع لك مفاجأة. ولا دخل لكونك ستعملين أم لا بشركة "ميرث".

هنا. تبدد قلق "بيب" قليلا ولكنها استمرت على حذرها. وقالت بنوع من الشدة:

– حسنا. أرني إذن تلك المفاجأة.

– سوف ترين. ارتدي فقط هذه القفازات وهذا القناع الوهمي وابقي واقفة فوق العلامات الموجودة على الأرض.

تناول مضرب "بيس بول" وأعطاه لها قبل أن يكمل حديثه:

– سوف نقوم ببعض التدريب على المضرب. ما قولك في أن تتدربي مع "نولان رايان"؟

– من هو؟

– ماذا؟ ألا تعرفين من هو "نولان رايان"؟ إنه من أعظم الرماة في كل العصور. هل تعرفين على الأقل ما الذي نفعله الآن؟

– طبقا لما قلته أنت وما أراه من خلال هذه النظارة سوف نلعب لعبة

الـ"بيس بول".

– بالضبط! هل أنت مستعدة للتجربة؟

– إن هذا مثير للاهتمام.

حرك "سوبر" ذراع التحكم لتجد الفتاة نفسها أمام "رايان" وهو يستعد لأن يرمي نحوها أول كرة.

– هل ترين خصمك؟

– نعم.

– حسنا. صححي وضعك جيدا وانتظري الكرة الأولى. إن الجهاز مضبوط على مستوى المبتدئين، حتى تستطيعي أن تتأقلمي مع اللعبة. ما عليك إلا النظر إلى الكرة وضربها في أي وقت تشائين، واضح؟

– واضح!

وصرخ "سوبر":

– ابدئي.

وفجأة ظهر "رايان" أمامها وهو يقوم بحركات ثم أطلق نحو "بيب" الكرة الأولى. وقامت هي بمحاولة ضربها بكل قوة ولكنها مرت بجانبها.

صرخ الصوت المعدني للحكم في أذنها:

– نقطة!

وقال "هايس":

– لقد أفلتت منك.

وردت هي:

– لم أكن مستعدة لمثل هذا.

– سوف أقوم بتقليل السرعة. استمري.

وبعد عدة محاولات فاشلة، استطاعت أن تصيب الكرة لتطيح بها خلف الخط.

صرخ الحكم:

– خط!

وبدأ الجمهور الوهمي يصفق في أذنيها.

www.elromancia.com

وصرخت وهي تنزع قناعها وهي تنقض على الشاب.

– هل رأيت كيف أرسلت إليه تلك الكرة؟

رد "سوير" وهو يضحك:

– رائعة، هل تريدين الاستمرار؟

وضعت قناعها على عينيها من جديد بحالة من التصميم وقالت:

– بعض الشيء يا صديقي! سوف أجعله يأكل كراته! وقامت بإرسال بعض الكرات الرائعة الأخرى قبل أن تخلع عنها القناع من جديد، وقالت وهي في غاية السرور:

– أفضل أن أتوقف وأنا في حالة فوز. إن هذا رائع حقا، هل تم تسويقه أم لا؟

– ليس بعد. ولا أود أن أذكر لك أن هذا المشروع سري للغاية. ولكنك قمت الآن بتجربة أحسن ما ينتج في مجال الـ"بيس بول" الوهمي. ونقوم الآن بالإعداد لدورة جولف مبنية على نفس المبدأ.

– مبهر حقا! ولكنه المشروع الذي كان السيد "هوكر" يطلبني من أجل العمل فيه. أليس كذلك؟

رد "هايس" بمظهر المترفع:

– أظن أنه هو. قولي لي هل تحبين أن نذهب لتناول الغداء في مكان ما؟ في مطعم مكسيكي مثلا...

– رائع! ولكن أرجو ألا نستخدم الطائرة المروحية.

– لا! لدي سيارة تنتظرني في الأسفل.

*****

طلبت "بيب" طبق "فاخيتاس" مستخدمة لغة إسبانية سليمة.

قال "سوير" بلهجة اعتراف:

– إنك تثيرين دهشتي حقا.

– لماذا؟

– إن لغتي الإسبانية محدودة جدا. على كل حال. إنني متأكد أنني

لست في مستواك.

– لماذا؟

– بناء على مستواك التعليمي أعتقد أنك تتقنين أربع لغات على الأقل، أليس كذلك؟

– في الحقيقة ست لغات، أربع منها بدرجة جيدة نوعا ما واثنتان أقل من ذلك وأنت، ما هي اللغات التي درستها؟

– الألمانية فقط. وأعترف أنني أتقنتها مع مرور السنين.

ضحكت ضحكة صغيرة. كان على "هايس" أن يقبل فكرة أن سحر هذه الفتاة البريء بدأ يؤثر فيه. كانت تشع حرارة تجعل قلبه يذوب مثل قطعة حلوى طرية. كان ماخوذا بدرجة كبيرة بواسطة سذاجة الدكتورة "لي بارون". وبأنفها الصغير، وبعينيها وبشفتيها، وبساقيها...

وبكل ما تبقى من جسمها أيضا.

انحنت نحوه وقالت له بمظهر المتآمر:

– يظهر أنك تعاني من نقائص في تعليمك إذا لم أكن مخطئة في اعتقادي هذا.

تملكه السرور من كونها تحاول أن تضايقه بهذه الطريقة ورد قائلا:

– هذا صحيح، هل تتحدثين الإنجليزية؟

ردت بتعجب:

– طبعا. وأيضا الألمانية.. إن اللغات الضعيفة عندي هي العربية والروسية.

وظهر على وجهه تعبير ينم على تبرئته وقال:

– هذا شيء عادي. كنت أود أن أقول ذلك أيضا.

أخبريني: إذا قمت بتعليمك اللعب فهل توافقين على تعليمي الإنجليزية في مقابل ذلك؟

مدت إليه يدها وقالت:

– اتفقنا.

التقط يدها بقلب خافق. كان يود لو أمكنه أن يمسك بها طول حياته،

www.elromancia.com

هذه اليد الصغيرة ولكنها مليئة بالحيوية. كان يتمنى لو أنه استطاع أن يرقص بجنون أو أن يصيح بكل جوارحه، أن يفعل أي شيء... ولكن بدلا من ذلك بقي جالسا ينظر إليها ببلاهة، متسائلا عما يستطيع أن يفعله، إلى أن خطرت بباله فكرة ما.

وقال فجأة:

- هيا بنا، سأصطحبك إلى مكان ما.

- ألا تريد أن تأكل؟

نظر "سوير" إلى طبقه المليء وضرب جبهته وهو يضحك:

- يا إلهي! لقد نسيت.

- أين تريد أن تصطحبني؟

- إنها مفاجأة. هل تحبين الخيول؟

- على وجه الحقيقة، لست أدري.

- ماذا تحاولين أن تقولي؟ تنشئين في "تكساس"، ولم تمتطي حصانا قط؟

ردت عليه وقد ظهر في صوتها لحن سخرية لذيذ:

- هل تعتقد أن هذا سيفقدني حق المواطنة.

- لا. إذا قمت بتعليمك ركوب الخيل، ولكن لكل شيء ثمنه...

احتجت الفتاة قائلة:

- أظن أننا عقدنا اتفاقا منذ قليل.

- لكن يجب عليك في هذه الحالة أن تدفعي أجرا إضافيا صغيرا.

ردت عليه بظرف:

- وما هو يا ترى؟ يجب أن أعرف إذا ما كنت ساستطيع دفعه.

فكر مليا:

- ولم لا يكون قبلة مثلا؟

نظرت إليه وكأنها مذهولة ثم قالت:

- يبدو لي أن الأمر مقبول.

لم يكن "سوير هايس" ينتظر مثل هذا الرد. اضطرب كل شيء حوله.

وانتبه إلى الحركات العشوائية التي تقوم بها الفتاة وهي تحضر الفطيرة الخاصة بها، ولكنه لم يستطع أن يقول شيئا لفترة بدت له طويلة جدا. لم يكن يرى سوى شفتي "بيب" الممتلئتين وهما تنغلقان حول الفطيرة التي تتناولها.

ولأول مرة في حياته تمنى "سوير هايس" أن يكون هو نفسه فطيرة!

الفصل الثالث

تساءلت "بيب" وهي تنزل مسرعة من الطائرة المروحية:

- أين نحن الآن؟

- في مزرعة شركة "ميرث"؟

- هل شركة "ميرث" تمتلك مزرعة؟

- بطريقة ما.

- وما هي على وجه الدقة الميادين التي تستثمرها شركة "ميرث"؟

خلع "هايس" طاقيته وأدخل أصابعه داخل شعره:

- أشياء كثيرة ومتنوعة في الحقيقة. في البداية كان نشاطنا يتركز على تطوير وصناعة كل أنواع الألعاب الاجتماعية أو التي تتعلق بالرياضة. أما قسم المعلومات فقد جاء بعد ذلك بوقت طويل، ولكنه يزداد اتساعا مع مرور الوقت.

- فهمت. ولكن لماذا تستخدم هذه المزرعة؟

ودوى صوت عال يأتي من خلفهما:

- "سوير"، "سوير".

التفتا ليريا طفلا صغيرا يعدو نحوهما وكان وجهه مغطى بالنمش. والقى الطفل الصغير بنفسه بين ذراعي "هايس"؛ مما أفقد هذا الأخير توازنه وبعد لحظة كان الاثنان يلهوان ويتقلبان فوق العشب ويضحكان كالمجانين.

مضت لحظات، توقف بعدها الرجل لينظر إلى الطفل وهو يبتسم له ابتسامة عريضة ويقول له:

www.elromancia.com

– قل لي يا "سكوتر"، أرى أنك فقدت إحدى أسنانك مرة أخرى.

رد الولد بفخر:

– نعم، وقمت بوضعها تحت وسادتي ليلة أمس، وعندما صحوت في الصباح لم أجدها، بل وجدت مكانها قطعة نقود.

ورد "سوبر":

– ألم أقل إنك يجب أن تثق بالفأرة الصغيرة.

ثم التفت إلى "بيب" وقال:

– "سكوتر"، أقدم لك الدكتورة "بيب"، "بيب" هذا أحد رفقائي المخلصين، "سكوتر وبجينز". هذا الطفل لا يتجاوز السادسة من عمره كما كانت المرأة الشابة تفكر بينما كان هو ينظر إليها نظرة عدم تصديق.

وقال بلهجة المصدوم:

– ولكنها فتاة!

– شكرا يا "سكوت" لقد لاحظت ذلك مسبقا.

– هل تقوم بإعطاء الحقن؟

– لا، إنها ليست من ذلك النوع من الأطباء. إنها من النوع الذي يعمل في الصواريخ ومع رواد الفضاء.

ورد "سكوتر" بصوت عال وكأنه فتن بهذا الاكتشاف المفاجئ:

– هل هذا صحيح؟ هل سبق لك أن ركبت في مركبة فضائية؟

– لقد حدث لي ذلك بالفعل.

– وهل سبق لك أن ذهبت إلى القمر؟

ردت "بيب" وفي صوتها نبرة إحباط:

– للأسف، لا، ولكن في مقابل ذلك فلقد عملت مع عدد من رواد الفضاء الذين ذهبوا إلى الفضاء.

رد الطفل بصوت أشبه بالصرخة من فرط الإثارة:

– حقا؟ أنا أيضا، أريد أن أصبح رائد فضاء عندما أكبر.

واحتج "سوبر" قائلا:

– ظننت أنك كنت تريد أن تقوم باصطياد الثعبان البرية في حلبة

مصارعة الثيران.

ورد "سكوتر" بسرعة:

– لكنني سأقوم بالاثنين معا! أيها الغبي وسأقود أيضا الكثير من الطائرات المروحية.

ونظر بفخر إلى محدثه، كان من الواضح أن "سوبر" هو مثله الأعلى.

سأل "هايس" الطفل وهو يمرر يده داخل شعر هذا الأخير:

– وأين الباقون؟

– لقد ذهب الجميع إلى السينما عدا "دافي" والسيد "مات" وأنا طبعا.

– ولماذا بقيت أنت و"دافي" هنا؟

طاطأ "سكوتر" رأسه وتمتم بكلمات غير مفهومة.

رد "هايس" بهدوء:

– لم أسمع جيدا ما تقول.

– إنه بسبب "والتر". لقد كان المسكين مغطى بالحشرات، وظننا أنه من الأفضل أن نقوم بحلاقة شعره وبالتالي لن يهرش ثانية. وأردنا أن نستخدم في ذلك ماكينة الحلاقة الخاصة بالسيد "مات" لكنه عندما رآنا احمر وجهه، وقالت لنا الآنسة "ماري" إننا لن نذهب إلى السينما.

– هل تريد أن تقول: إنكم قمتم بحلاقة شعر "والتر" بماكينة الحلاقة الكهربائية الخاصة بـ"مات"؟

احتج الطفل قائلا:

– لا. ليس كل شعر "والتر"، بل المنطقة التي كانت تعج بالحشرات فقط!

التفت "سوبر" وهو يخفي ضحكه ناحية الفتاة يشرح لها قائلا:

– إن "والتر" هو أحد كلاب المزرعة. وهو تحت مسؤولية الأطفال لكنني أظن أنهم أدوا عملهم بحماس زائد نوعا ما.

– أمرنا السيد "مات" أنا و"دافي" بالبقاء في غرفتنا والتفكير فيما فعلناه، وفكر "دافي" بشدة لدرجة أنه نام، أما أنا فلقد سمعت صوت الطائرة المروحية فأسرعت إلى هنا!

www.elromancia.com

كان من الصعب على "بيب" و"سوير" الاحتفاظ بجديتهما. لكن "سوير" تمالك نفسه وقال:

– أرجو أن تكون قد تعلمت شيئا اليوم.

وتمتم "سكوتر" قائلا:

– ألا تحلق شعر كلب بواسطة ماكينة حلاقة ليست ملكك؟

– حسنا.

– ألست غاضبا مني؟

– لا.

أكد الطفل بلهجة استعاطف قائلا:

– ألن تقوم بجلدي بواسطة حزامك؟

– إنك تعلم جيدا أن هذا ليس أسلوبنا.

– أعلم ذلك، ولكن "دافي" كان يخشى من هذا وقلت له ألا يقلق ولكنه بالرغم من هذا كان خائفا.

ربت "سوير" بلطف على رأس الطفل وقال:

– لا داعي للخوف. والآن اذهب وأخبر "مات" أنني عدت مع ضيفة وأننا سوف نقوم بجولة على ظهور الخيل.

رد "سكوتر" وهو ينطلق مثل السهم في اتجاه المنزل:

– عُلم!

تابعت "بيب" هذا الحوار بكل شغف، كانت تشعر أن هناك تفاهما كبيرا بين "سوير" والطفل.

ونظرت إليه وهو يعدو وقالت:

– إنه لطيف ونشيط جدا!

رد "هايس":

– لقد تحسن كثيرا، كان عليك أن تشاهديه منذ ستة أشهر، لقد كان متوحشا ويفر من أدنى اتصال، كان مثل كلب مذعور.

قالت "بيب":

– لست أفهم ماذا تقصد.؟

وضع الشاب يده حول كتفيها وبدآ في السير:

– هذا الطفل مثل بقية الأطفال الموجودين هنا تعرضوا إلى معاملات سيئة في أسرهم. والبعض منهم كان يعاني اضطرابات نفسية خطيرة.

– بقية الأطفال؟

– إن لدينا هنا بصفة عامة حوالي اثني عشر طفلا في المزرعة، تتراوح أعمارهم ما بين السادسة والثانية عشرة. ويقوم آل "إميرسون" – السيد "مات"، والآنسة "ماري" – بالإشراف على المزرعة ولدينا أيضا معلمان، وطبيب نفسي خاص بالأطفال، واثنان من رعاة البقر للإشراف على الحيوانات. دون ذكر امرأتين طيبتين جدا تقومان بمساعدة السيدة "إميرسون" في غسيل الثياب والطبخ. ويعلم الله مدى صعوبة ذلك في وجود كل هؤلاء الأطفال!

ردت "بيب" حالمة:

– لا أشك في ذلك، هل تقوم "ميرث" بالإنفاق على هذا البرنامج؟

– نعم.

– يبدو أنك تقضي وقتا طويلا هنا، إنه لشرف لك وللمجتمع كله.

ظهر تعبير على وجه "سوير":

– لكن هذا غير كاف، ونود أن نفعل المزيد...

قطعا حديثهما ليسلما على رجل يظهر الشيب على جانبي شعره كان يتقدم نحوهما بصحبة طفل يصر على طاطاة رأسه.

وقال "سوير":

– أهلا "مات".

والتفت إلى الفتاة وقال لها:

– وهذا "دافي"، شريك "سكوتر" في الجريمة. أرجو أن تكون قد استوعبت الدرس؟

رد "مات" بصوت ممزوج بحدة كبيرة:

– لقد أفسدا ماكينة حلاقتي؛ ولذلك فهما محرومان من الذهاب إلى السينما ومن البيتزا لمدة أسبوع كامل.

www.elromancia.com

وقال "هايس" باهتمام:

– هل اعتذرت للسيد "مات"؟

رد الطفل بالإيجاب بواسطة حركة من رأسه.

قال "سوبر" مقترحا:

– ولماذا لا تفعل ذلك أمامنا؟

وبدون أن ينطق بكلمة واحدة، ووجهه غارق في الدموع، مد الطفل يده إلى الرجل العجوز ليلتقطها هذا الأخير بكل عطف وحنان، كانت "بيب" على وشك أن تنهار باكية هي أيضا.

وعندئذ قال "سوبر":

– "دافي"، هذه هي الدكتورة "بيب"، سوف أريها كيف تمتطي الجواد، هل تريد أنت و"سكوتر" أن تساعدا في ذلك؟

نظر "دافي" طويلا إلى الفتاة ثم رد بحركة أخرى من رأسه. وقال الشاب موضحا:

– إنه لا يتكلم كثيرا بعد.

وظهر "سكوتر" فجأة قائلا:

– إلا معي.

قال "هايس" بلهجة أمر:

– حسنا، اذهبا إذن بالدكتورة "بيب" إلى مربض الخيول، سوف ألحق بكم على الفور.

وقاد الطفلان الفتاة إلى الحظيرة الموجودة بعيدا نوعا ما.

سأل "سكوتر" "بيب":

– هل تظنين أننا كنا أشرارا عندما أردنا حلاقة شعر "والتر"؟

– لا، لا أعتقد ذلك، أظن فقط أن المسألة كانت سوء تقدير منكما.

وقال الطفل ذو النمش مخاطبا صديقه:

– أرأيت يا "دافي"، لقد قلت لك: إننا لم نكن أشرارا، إنه فقط سوء تقرير.

وتداركته "بيب":

– تقدير.

– نعم هذا ما كنت أقول. هل رواد الفضاء يمكن أن يقعوا في سوء التقر... التقد... ير؟

– نعم يمكن أن يحدث ذلك، ولكنهم بوجه عام، يحاولون أن يتفادوا ذلك؛ لأن العواقب يمكن أن تكون وخيمة.

– ما معنى "عواقب وخ..." لست أدري ماذا؟

– معناه أنهم إذا ما ارتكبوا خطأ ما فسوف ينتج عنه أخطاء متعددة وبالتالي سوف تفشل رحلتهم.

– هل مثال ذلك عندما يضغطون على الزر الخطأ، فيذهبون إلى المريخ بدلا من الذهاب إلى القمر؟

ردت "بيب" بابتسامة قائلة:

– هذا هو بالضبط.

اقترب "سوبر" وهو يجر حصانين كبيرين وحصانين صغيرين للأطفال.

وقال متسائلا:

– على ماذا تتآمرون أنتم الثلاثة؟

– كانت الدكتورة "بيب" تشرح لنا أننا لم نكن أشرارا عندما قمنا بحلاقة شعر "والتر" ولكننا وقعنا في خطأ "سوء التقرير".

وقامت "بيب" بالتصحيح مرة أخرى وهي تضحك.

– سوء التقدير.

– نعم هذا هو. ورواد الفضاء أنفسهم يمكن أن يفعلوا ما هو أسوأ مما فعلناه.

تفحصها "هايس" بنظرة ريب.

ابتسمت هي وقالت للشاب:

– إنها مجرد مدخل لشرح مبدأ سبب الفعل.

رد هو الابتسامة ثم قال:

– فهمت، لكن لا تبالغي كثيرا، لأنهم قد يعودون إلى فعلتهم بحجة خدمة العلم. أي حصان تختارين؟

www.elromancia.com

– أترك لك الاختيار فأنا لا أعلم عنها شيئا.

مد إليها اللجام وقال:

– خذي إذن "بلوسوم" كبداية.

تساءلت في حيرة قائلة:

– كبداية؟ نعم ولكن من أين؟

– أمسكي ذروة السرج، ضعي قدمك اليمنى في الركاب ثم اصعدي على ظهر الجواد في نفس الوقت.

حاولت أن تنفذ ما شرحه لها ولكنها لم تنجح بعد ثلاث محاولات متتالية وظهر القلق على الحصان.

وقال "سوبر" وهو يساعدها:

– لا تخافي.

ووجدت الفتاة نفسها على ظهر الحصان، فقامت بالتشبث بكل قوتها في ذروة السرج.

وعلق "سكوتر" قائلا:

– أظن أنها خائفة جدا أن تبقى وحدها على ظهر "بلوسوم"، أعتقد أنه من الأفضل أن تعلمها بالطريقة التي استخدمتها معنا.

– معك حق يا "سكوت"، هيا يا "بيب" تقدمي إلى الامام على السرج.

ابتعد "سوبر" قليلا ثم تقدم مسرعا ليقفز راكبا خلف الفتاة وسرعان ما تملكها الاضطراب، وخافت "بيب" وقامت بالالتصاق به تماما وعندها أحست بقشعريرة تسري في كل جسدها. زادت حرارة الشمس ومعها أصبحت روائح البراري أكثر وضوحا.

همس لها قائلا:

– استرخي وابقي ملتصقة بي فلن أتركك تسقطين.

– أتعدني بذلك؟

– أعدك. سوف نقوم بدورة أو دورتين حول الحظيرة لتشاهدي ما عليك القيام به.

بعد هذه الكلمات المطمئنة استرخت "بيب" مباشرة، وكان جسمها

المسترخي يستسلم شيئا فشيئا ليندمج أكثر مع تفاصيل جسد "سوبر" وبدأ يشعر بحرارة شديدة.

كانت تلتصق به كأنها خلقت له.

– إنها فعلا خلقت من أجلي.

ظهرت له هذه الحقيقة فجأة قام بتحريك الفرس بهدوء، وسرعان ما توافقت حركات جسديهما، ولم يستطع "هايس" أن يمنع نفسه من الاحمرار بسبب الاضطراب الذي كان يحس به. وتركت هي نفسها بطريقة جد طفولية، بدون أدنى شك في هذا التصرف الغريب وهو كونها ملتصقة برجل على هذا النحو...

كان عطرها الرقيق يجعل إحساس "سوبر" أمام امتحان صعب. وفجأة انفجرت "بيب" ضاحكة.

سألها وصوته محتبس نتيجة تدافع الأحاسيس بداخله:

– هل تحبين هذا؟

ردت الفتاة بصوت أكثر غرابة:

– نعم، إنه أمر جد مختلف، وجديد.

حاولت أن تتقدم بجسدها إلى الأمام ولكن "سوبر" تبعها ليبقى جسده ملتصقا بجسدها.

وتمتم قائلا:

– كنت أظن أنك ستقولين مثيراً؟

وردت بلهجة غامضة:

– هو كذلك أيضا.

ودوت أصوات صفير ومزاح أدت إلى إخراجهما من حوارهما الهادئ. كان هناك مجموعة من الأطفال تنظر إليهما باهتمام. أحس "سوبر" بأن المرأة الشابة أحرجت.

قالت:

– أظن أنه من الأفضل أن نترجل.

ورد هو موضحا:

www.elromancia.com

– أظن أنه عليك أن تترجلي، أما أنا فمن الأفضل أن أبقى قليلا.

سألته في حيرة:

– ولماذا؟

– حتى يتسنى لي أن أخفي عنهم اضطرابي.

ابتلعت "بيب" ريقها:

– هل ضايقك كلامي هذا؟

– ضايقني؟ لكن لماذا؟ إنني امرأة متحضرة، أتعلم ذلك؟ كان "سوير" متأكدا من العكس، خاصة عندما ذكر موضوع اضطرابه وصل به الحال إلى أن يتساءل عن احتمال وجود رجال في حياة هذه المرأة واستنتج في النهاية أنها لم تقابل الكثير منهم وربما لم يكن هناك أي رجل في حياتها. كانت هذه الفكرة تروق له. كان هو شخصيا يعاني من تأخر صحوة هذه الاحاسيس، لكنه بطبيعة الحال، استطاع أن يتدارك الموقف منذ ذلك الوقت، ولكنه في نفس الوقت لم يسبق له أن قابل امرأة أيقظت بداخله تلك الشعلة الساحرة الصغيرة إلى أن قابل "بيب".

قطعت الفتاة حبل أفكاره الحالمة لتسأله:

– والآن ماذا سنفعل؟

كان يود لو استطاع أن يخطفها بعيدا عن أعين هؤلاء الأطفال الفضوليين، وأن يأخذها إلى وسط الحقول حتى يصبحا وحيدين عند غروب الشمس. ولكن بدلا من أن يفعل ذلك قام بإنزالها من على ظهر الفرس بهدوء ثم اتجه إلى "بيل" أحد رعاة البقر الذين يعملون في المزرعة وهو يمسك بلجام الفرسين الكبيرين والحصانين الصغيرين.

وسأله "سوير" قائلا:

– هل يمكنك يا "بيل" أن تعتني بالأطفال بينما أقود "بلوسوم" إلى الإسطبل.

ابتسم راعي البقر وتمتم لرئيسه قائلا:

– إن هذه الفتاة يمكنها أن تشعل النار في قطعة من الثلج، أليس كذلك يا رئيس؟

ابتسم "سوير هايس" كعادته ليرد عليه. ولكن "بيل" كان على حق، فقد كان يشعر حقا أنه قطعة ثلج وضعت وسط الصحراء!

نظرت "بيب" إليه وهو يبتعد في اتجاه الإسطبل. كانت تحس بدوار وبحرارة شديدة بداخلها. كانت أنفاسها متقطعة وحلقها جاف جدا. كانت تبتسم بدون سبب أو على الأقل هذا ما كان يخيل لها وقالت في نفسها:

– إن هذا الأمر غريب وغريب جدا.

"ماذا يمكننا فعله عندما نقع في الحب؟" طردت الفتاة هذه الفكرة السخيفة من عقلها. لم يمض وقت طويل على معرفتها بهذا الشاب لتقع في حبه. ثم اعترفت بداخلها.

"من الواجب أن أعترف أنه ليس لدي أية أفكار مسبقة عن هذا الموضوع".

لم تعرف أبدا هذا النوع من الرغبات من قبل. كانت علاقتها بالرجال محصورة في العلاقات الفكرية. دعوات غداء، حفلات موسيقية أو مسرحية. كان الاتصال الجسدي الوحيد مع الرجال هو قبلة عابرة على شفتيها قام بها زميل لها في العمل وجدت أنه كان لطيفا. لكن هذا الإحساس الذي اجتاحها في تلك اللحظات لم تجد له مثيلا يمكن تذكره. كانت تجد أن تسرع هذا الرجل فيه شيء من الفجاجة وإن لم يكن بذيئا أيضا.

وقالت في نفسها:

"إنه ليس شاعريا على الإطلاق وفي كل الأحوال".

مع أن "بيب" كانت تعرف كل شيء عن الغرائز وبكل التفاصيل، فلقد قرأت العديد من الكتب التي تعالج هذا الموضوع وخرجت في النهاية بنتيجة واضحة ألا وهي أن المجتمع الإنساني قام بتضخيم حجم هذا الموضوع ليهمل باقي المواضيع المهمة.

كان عليها أن تعترف أن دخولها إلى الجامعة قبل مرحلة البلوغ لم يسهل عليها هذه المهمة؛ لأنه ما من أحد كان ليهتم بهذه الفتاة الصغيرة وكل ما

www.elromancia.com

كان يلفت انتباههم فيها هو كم المعلومات الغزير الذي تتمتع به، ونتائج الامتحانات الرائعة بالنسبة لصغر سنها. ومع ذلك كان هناك شيء جديد يحدث الآن بداخلها لم تعرفه من قبل فقد فتح "سوبر هايس" لتوه بابا كانت أنوثتها ترقد خلفه منتظرة من يستطيع إيقاظها.

عادت "بيب" لتذكر كل أحاسيسها عندما كانت فوق ظهر الحصان. لم يخطئ "هايس" عندما ضمها إليه فقد كان في هذا الاتصال شيء مثير جدا. كان شيئا مدوخا، مسكرا، مخيفا ولكنها كانت تستمتع به.

قررت الفتاة الآن أن تقوم بتعميق معلوماتها في هذا المجال الغريب بالنسبة لها. وصممت على الذهاب إلى مكتبة الجامعة منذ صباح الغد، بل في الساعات الأولى من النهار.

لكنها بمجرد أن رأت "سوبر" يخرج من الإسطبل عرفت سرعة ما كان عليها أن تفعله: كان عليها أن تلمس هذا الرجل.

الفصل الرابع

في هذه اللحظة- وقبل أن تقوم بأي حركة في اتجاهه- كان "سوبر" يتعرض لهجوم من مجموعة الأطفال الذين أرادوا أن يلفتوا انتباهه بأي طريقة.

وعندها جلست على سور مربض الخيول وهي تنتظر بصبر أن يجد الأطفال شيئا آخر يشد انتباههم، لكن عندما رآها "سوبر" تخلص جاهدا من هذا الهجوم الذي تسبب فيه واتجه نحوها.

- أخشى أنني لم أستطع إعطاءك فرصة كافية لركوب الخيل اقترح أن نعود في الأسبوع القادم عندما تبدأ دراستهم من جديد، فما قولك؟

- حسناً جدا.

أمسكها من خصرها وقام بإنزالها من على السور. كانت على بعد سنتيمترات منه. نظرا إلى بعضهما بعضا لفترة قبل أن يهز "هايس" رأسه وكأنه يريد طرد فكرة سخيفة من رأسه. ذهبا ليودعا الأطفال ثم اتجها

ناحية الطائرة المروحية.

قالت "بيب" ملاحظة:

- أعتقد أنهم يحبونك جدا.

رد الشاب قائلا:

- أنا أيضا أحبهم كثيرا، لقد عاش معظمهم حياة قذرة، وكم كنت أود أن أقضي معهم أوقاتا أطول ولكن هذا الأمر في غاية الصعوبة.

- وهل مديرك مهتم مثلك بالأطفال؟

- مديري؟ هل تقصدين "هوكر"؟ إنه ليس مديري بالرغم من أنه يعتقد ذلك أحيانا. لا أستطيع أن أقول إنه مهتم بالفعل فيما يخص مزرعة "ميرث" بأي حال من الأحوال. وأظن أنه لو امتلك السلطة لكان قد أغلقها بكل بساطة؛ لأنها تقلل من نسبة الربح العائد على الشركة.

ردت الفتاة وهي مندهشة:

- لكنك لا تستطيع أن تتركه يفعل ذلك.

ابتسم "سوبر" وهو يحك أنفه بأنف "بيب" وقال:

- كنت أعلم جيدا أنك النوع المناسب لي من النساء، ولكن لا تقلقي، طالما كنت أنا المدير فلن تكون هناك فرصة لحدوث مثل هذا.

نظرت إليه نظرة تساؤل وقالت:

- لأنك أنت المدير؟

- نعم، فأنا صاحب أكبر عدد من الأسهم في "ميرث". هذه الشركة هي ابنتي.

ظهر بريق من الغضب في نظرة "بيب" وقالت بصوت حاد:

- أظن أنك تدين لي ببعض التفسيرات، يا "سوبر هايس".

- هذا حقيقي ولكن ليس الآن.

بدأ محرك الطائرة في العمل ليقطع الحوار الدائر تماما، وتحركت الطائرة في السماء ببطء مع صرخات الفرح التي كان يطلقها الأطفال الذين كانوا يودعونهما وسط الغبار المتطاير.

*****

www.elromancia.com

كانت الشمس قد غربت خلف الأشجار عندما رافق "سوبر" "بيب" إلى أن وصلت أمام باب المنزل قرب البحيرة. كانت تحس باضطراب وكأنها تنتظر شيئا ما، مع يقينها المطلق بعدم معرفة ما سوف يحدث. كان الغروب دافئا بطريقة رائعة. وكان الجو العام مكهربا.

ذكر الشاب نفسه في صمت قائلا:

"لا يجب أن تندفع أكثر من اللازم".

بالرغم من أنه كانت لديه رغبة وحيدة: البقاء معها لأطول فترة ممكنة، وزاد الهدوء السائد من حولهما في شدة الرغبة في احتضانها بين ذراعيه. كانت الرغبة في تقبيلها تزداد بمرور الوقت لتتراكم مع ما أحسه فوق ظهر الحصان لكن قد حان الوقت ليتركها ويعود إلى "هيوستن"...

وضع "سوبر" أصابعه على وجنتي الفتاة ليستمتع بنعومة بشرتها، ثم لمس بيده حلمة أذنها وأحس بقشعرتها.

- يجب علي أن أقول لك "جود نايت" الآن.

ورد وهو يخرج من أحلامه:

- عفوا؟

- لقد كنت أقول لك تصبح على خير بالإنجليزية، حتى أبدأ في دروس اللغة الإنجليزية، هل تتذكر؟

وفي حين كان "سوبر" يبتسم لها ببلاهة ودون رد أضافت قائلة:

- "ثانكس ألوت" من أجل هذا اليوم الرائع.

رد هو في النهاية:

- تريدين أن تقولي شكرا، لا عليك فقد كان ذلك متعة بالنسبة لي وأرجو أن نستطيع أن نكرر مثل هذا اليوم قريبا، ولم لا يكون غدا؟ ولكن قبل هذا...

تساءلت "بيب" بقلق:

- ماذا هناك؟

- هناك شيء أرغب في عمله بشدة منذ أول مرة رأيتك فيها.

- وما هو؟

- أريد أن أقبلك، هل سيزعجك ذلك؟

ارتعشت وتمتمت قائلة:

- "نوت أت أول"، على الإطلاق.

- هذا ما كنت أظن أنني فهمته.

ثم قبلها كانت "بيب" تنهار تقريبا تحت وطأة رقة شفتيه اللذيذة. كانت تود أن يدوم هذا الإحساس بالاستسلام الذي انغمست فيه إلى الأبد. ولكن فجأة ابتعد "سوبر" لمسافة محترمة. كانت نظراته تنم عن اضطراب داخلي عميق.

- أظن أنه علي أيضا أن أقول لك "جود نايت".

طاطأت رأسها في إحباط وقالت له:

- ألم تعجبك قبلتي؟

رد هو بسرعة ليطمئنها:

- بل على العكس. لقد أحببتها كثيرا، حقا.

ابتسمت وقالت:

- حسنا، لأنني استمتعت بها أنا أيضا، ولكن هل يجب عليك أن ترحل بالفعل؟ هل أنت متأكد من عدم رغبتك في البقاء للعشاء؟ أنا متأكدة من أن "نان" ستجد متعة كبيرة في إعداد شيء صغير لنا. هل تحب الاسباجتي؟

- أعشقها.

- إذن ستبقى أليس كذلك؟

- كيف تقول لم لا بالإنجليزية؟

- "واي نوت"؟

وكرر قائلا:

- إذن "واي نوت"؟

ضحكا معا، ثم قامت "بيب" بفتح الباب قبل أن تصيح:

- "نان" إنني هنا!

تبعها "سوبر". لم ترفع المرأة العجوز- التي كانت تقوم بطهو شيء ما-

www.elromancia.com

رأسها. وقالت في لهجة غاضبة:

– لقد تأخرت كثيرا، وكنت قد بدأت في القلق بشأنك.

اتجهت "بيب" إليها وقبلتها على خدها:

– تعلمين يا "نان" أنني أصبحت شخصا كبيرا الآن، هل تمانعين في أن يكون لدينا ضيف؟

وبدون أن ينتظر الرد، أخذ "سوير" قطعة خبز محمر بالثوم وقام بغمسها في طبق حساء ساخن وغليظ القوام ذي رائحة زكية.

وقال بصوت يملؤه الحماس:

– سيدتي، لا أظن أنني تذوقت حساء مثل هذا منذ أن ابتعدت عن حجر أمي، ويعلم الله متى تركت أمي العزيزة.

ردت المرأة الوقور ووجهها يحمر نتيجة هذه المجاملة.

– لا تحاول أن تجاملني أيها المتشرد الكبير، عليك فقط أن تستجمع شهيتك، فهناك الكثير من الطعام حتى للمجاملين.

ابتسم "سوير" و"بيب" بينما كانت "نان" تحدق في الشاب.

ثم عادت لتقول:

– على أي حال، يجب عليك أن تأكل أكثر أنت أيضا، وإلا فستجد نفسك أنحف من صغيرتي "بيب". انظر إليها كأنها هيكل عظمي متحرك!

– "نان"، إذا قمت بأكل نصف ما تحضرينه لي فلن أستطيع أن أمشي بل سأتدحرج بمعنى الكلمة.

ردت المربية العجوز باستهزاء:

– هراء! حسناً فليتوقف الجميع عن الثرثرة، فسوف نتناول العشاء بعد نصف ساعة في الشرفة. بمجرد أن أقوم بغرف الأطباق.

قال "هايس" مقترحا:

– هل تريدين أي مسـ...

– تريد ماذا؟ أنا التي سوف تقوم بركلك إذا تجرأت وحملت منشفة أو طبقا أو حتى فتات خبز إلى المائدة. هيا اذهبا لفتح شهيتكما بنزهة معا.

استمتعا بالغروب!

خرجا دون أن يلفظا بكلمة واحدة، وجلسا على سلم المدخل كانت الصراصير قد بدأت في الغناء وتهادت نسمة رقيقة بين أشجار السرو.

سأل "سوير" "بيب":

– هل تودين السير فعلا؟

– في الحقيقة، كنت أود أن أستحم، إن رائحتي تشبه رائحة الخيول. إذا كنت تريد ذلك أيضا فما عليك إلا أن تستخدم الحمام الثاني الموجود بالقرب من غرفة الأصدقاء.

سألها وهو يبتسم بسخرية:

– هل تلمحين لي بأن رائحتي كريهة؟

صاحت قائلة:

– لا على الإطلاق! بل على العكس أعترف بأنني أحبها جدا...

وبالرغم عنها، اجتاح الفتاة اضطراب جديد قطع حديثها، لم تكن تعرف ما العمل وما القول. مع أنها كانت دائما تملك الكلمة الأخيرة إلا أنها كانت خائفة من جرح مشاعر "سوير" بواسطة أسلوبها المباشر.

– ماذا تحبين...؟

عضت شفتها ثم قالت:

– أحب رائحتك كثيرا.

قال "هايس" مؤكدا:

– ما نوع هذه الرائحة؟

– لا أستطيع أن أقول بالضبط.

قبلها بحنان على شفتيها ثم قال:

– وأنت، إن رائحتك مثل رائحة الشمس والزهور.

– أهذا صحيح؟

– نعم.

– شكرا جزيلا، لقد كان هذا الكلام شاعريا جدا، وأخشى ألا أكون موهوبة في مجال الشعر.

www.elromancia.com

وضع جبينه على جبين الفتاة بلطف ثم قال:

– ولا أنا، ولكننا نستطيع أن نتعلم ذلك معا.

عندما عادت إلى غرفتها كانت "بيب" متيقنة من أنها قد تفوقت على كل قوانين الجاذبية الكونية، كان جسدها في خفة الفراشة وحرارة النار، أفكارها مشوشة، لأول مرة في حياتها حدث شيء ما غير منتظر وغير متوقع. طوقت نفسها بذراعيها كأنها تريد الاحتفاظ بما يحدث بداخلها. فبدلا من شعورها بالخوف، اكتشفت أنها استقبلت هذه الإثارة بهدوء عجيب وسرور غير مفهوم.

دخلت إلى غرفة الاستحمام ونظرت إلى نفسها طويلا لترى إن كان هناك شيء قد تغير فيها. لا، لقد كان "سوبر"، وكانت هي تعلم ذلك ولم يكن يبقى سوى أن تعترف بذلك، فمنذ أن التقت به لم تصبح هي نفسها، وبدا لها أن كل شيء تغير من حولها.

تتبعت الفتاة بإصبعها المكان الذي التقت شفاهما فيه. وعاشت بأفكارها تلك اللحظات، وتمنت أن تتكرر بأسرع وقت ممكن.

*****

أول شيء رآته "بيب" بعد نزولها من غرفتها كان "سوبر" وهو يتفحص صورا موضوعة داخل إطارات فوق المكتبة. وبمجرد أن سمعها أخذ واحدة من تلك الصور واتجه إليها:

– كانك تخرجين من كتاب "أليس في بلاد العجائب". من يكون هذان الرجلان معك؟

ابتلعت ريقها فجأة وهي تنظر إلى الصورة التي يحملها وقالت وهي تنفجر ضاحكة:

– إنهما عماي! كان ذلك عندما كنا في "إنجلترا"، كان كل واحد منهما أستاذا في جامعة "لندن" لمدة عام. كانت فترة رائعة!

– هل تعلمت الإنجليزية هناك؟

– نعم، لقد كان لي أستاذ رائع.

– إنهما متشابهان إلى حد بعيد. أليس كذلك؟ من ومن؟

– إلى اليمين العم "والدو". والآخر هو العم "إيموري" بالطبع. إنهما توءمان حقيقيان. وأعترف لك أنهما لم يتغيرا كثيرا. فقط بعض السمنة الظاهرة وبعض الصلع. ولكنهما طيبان جدا.

وجهت "بيب" أنفها ناحية المطبخ لتشتم رائحة الخبز بالثوم والحساء البولوني، وكأنها كلب صيد.

– هل أنت جائع؟ لأنني بواسطة أنفي أستطيع أن أتوقع أن موعد العشاء قد حان.

حك "سوبر" بطنه ورد مؤكدا كلامها:

– في الوقت المناسب، أظن أن في إمكاني التهام "بلوسوم" نيئا مع قليل من الزيد من أجل الطعم.

صاحت ضاحكة قبل أن تمسك بذراعه:

– يا للفظاعة! هيا بنا إذن!

لكنه احتجزها قليلا ونظر إليها، وقال لها في رقة:

– إنني أحب ضحكتك، عليك أن تضحكي باستمرار، ألم أقل لك هذا من قبل؟

– لا أدري ولكن وجودي معك يجعلني أضحك بسهولة.

وعندما وصلا إلى الشرفة وجدا مائدة جميلة أعدت لشخصين، كان عليها زهرية صغيرة بها عدد من زهور الحقول وعلى جانبيها شمعتان مشتعلتان وحولهما كانت تطير فراشات ليلية كثيرة.

نظرت "بيب" إلى "نان" الواقفة بجانب المائدة وسألتها متعجبة:

– أين تريدين أن تجلسي؟

تظاهرت المرأة العجوز بالبراءة وقالت:

– إن الوقت متأخر، ولا أريد أن يفوتني مسلسلي المفضل والذي سيبدأ عرضه فورا.

اعترضت "بيب" وهي تشعر بنوع من الحرج وقالت:

– أتظنين أنك تستطيعين خداعي؟

www.elromancia.com

ردت "نان" مبتسمة:

– افعلي ما تشائين واعتقدي ما تشائين، ولكن قبل كل شيء استمتعا أنتما الاثنان بالعشاء وأرجو أن تقضيا ليلة سعيدة، سوف أنزل في وقت لاحق لأنظف المكان.

وبدون أن تضيف كلمة أخرى دخلت المربية إلى المنزل تاركة "بيب" و"سوير" يبتسمان ويشعران بقليل من الحرج.

كانت الفتاة هي أول من انفعل قائلة:

– ما هذه القصة؟ إن "نان" تكره التليفزيون.

رد "سوير" مقترحا:

– ربما أرادت أن تنظم لنا عشاء رومانسيا على ضوء القمر والشموع. أظن أنني أعجبتها.

– بالتأكيد؛ لأن هذا ليس أسلوبها في الحقيقة.

قال وهو يأخذ قارورة الشراب:

– أقترح أن تعطيها مكافأة. هل تشربين؟

كان الطعام لذيذا جدا. ونسيت "بيب" نفسها وقامت بقبول ثلاث أو أربع كؤوس من الشراب، لم تكن من قبل تشرب أكثر من كاس واحدة. بدأت تشعر بدوار وعدم اتزان، وتداخلت أصوات الأشجار مع الكلمات التي كانت تتبادلها من حين لآخر مع "سوير" وكأنها موسيقى.

اكتشفت الفتاة أن هناك أشياء كان لابد عليها أن تدركها في وقت سابق، ولكنها هدأت نفسها بتفكيرها أن كل سحر اللحظة يكمن في وجود هذا الشاب الذي يجلس أمامها، كانت تعشق صحبته: كان يعطيها الإحساس بأنها خفيفة وآمنة لدرجة أنها كانت تريد أن تضحك وترقص. ولكنها عادت لتتمتم:

– لكنني لا أحسن الرقص.

رفع "سوير" نظره إليها وقال:

– معذرة؟

تنهدت بحزن وردت:

– لا أحسن الرقص.

– نستطيع أن نعالج هذه المشكلة بسهولة، سوف أعلمك.

– حقا؟

سألها:

– قولي لي: كيف نستطيع أن نقول طبعا بالإنجليزية؟

– "أوف كورس".

ردد "سوير":

– "أوف كورس"، إنني مجنون رقص وأظن أنه يمكنني تعليمك، هل عندك موسيقى في مكان ما؟

ردت بكل إثارة:

– في غرفة الجلوس.

نهضت "بيب" بسرعة كبيرة، وأحست بدوار؛ فجلست ثانية وبدأت تضحك.

قالت وهي تضحك بهدوء:

– أظن أنني أفرطت قليلا في الشراب. إنني لا أشرب عادة سوى كاس واحدة.

رد مستفهما:

– أهذا صحيح؟ لكنك شربت نصف القارورة!

– لا، هذا مستحيل.

أكد وهو يوجه إليها القارورة الفارغة:

– إنني أؤكد لك ذلك.

– ربما لأنني كنت عصبية بعض الشيء.

– عصبية؟ ولم ذلك؟

– كان لدي رغبة جامحة في تقبيلك من جديد ألا تود ذلك؟

ابتسم بشيء من الخجل:

– بلى. كنت أفكر في ذلك أيضا.

قالت "بيب" فجأة وهي تنهض وتسير باتجاه غرفة الجلوس بخطوات غير

www.elromancia.com

متزنة:

– هيا نرى تلك الأسطوانات.

تبعها "سوبر" وهو يفكر:

"إنها ساحرة جدا، وجذابة جدا، وهي تملك براءة وتلقائية تجعلها مثيرة جدا...".

هز رأسه ليطرد الأفكار التي تتجول داخله وقال لنفسه محذرا إياها "يجب أن تتصرف بهدوء ورقة، لا تستخدم الطرق المفاجئة معها، خاصة معها!".

دخل إلى الغرفة ورأى "بيب" تنتظره وفي يديها مجموعة من الأسطوانات.

– هذه كل الأسطوانات التي تملكها، أرجو أن تجد بينهما شيئا مناسبا.

تفحص الأسطوانات الواحدة تلو الأخرى وبدت عليه علامات الإحباط. وقال بعد أن تفحصها من جديد:

– إنها كلها أسطوانات كلاسيكية، لا شيء منها يساعدنا على الرقص.

– حقا؟

كانت المرأة في غاية الأسف.

– لا تقلقي. غدا، سوف نذهب معا لمنزلي: لدي كل ما يلزم من موسيقى لتعليمك فن الرقص.

سألت "بيب":

– ماذا يمكننا أن نفعل في انتظار ذلك؟

ساد صمت طويل. ثم اقترح الشاب قائلا:

– يمكننا أن نعود إلى الشرفة ونجلس لنلهو مع بعض الفراشات الليلية، هل قمت بذلك من قبل؟

– لا أظن ذلك.

خرجا ثانية وجلسا على الأرجوحة القديمة التي كانت تحدث صريرا تحت وطأة ثقلهما، وبعد أن اعتادت أعينهما الظلام بدأ. في رؤية أنوار صغيرة تتزايد شيئا فشيئا أمام أعينهما.

– إنه أمر مبهر. أليس كذلك؟ مثل آلاف من المصابيح الصينية الصغيرة.

– في الواقع إن هذه الأنوار المتقطعة ناتجة عن انبعاث كيميائي خاص، والذي تستعمله الذكور لاجتذاب الإناث للتزاوج، وإذا ما أردنا التبسيط أكثر نقول: إنه عبارة عن غزل، لكن بطريقة كيميائية معقدة جدا.

لم يستطع إخفاء تذمره إلا باصطناعه نوعا من العطس. ثم قال:

– وهل يعجبهن ذلك؟

ردت "بيب" بكل جدية:

– بالتأكيد، إن عمي "والدو" شرح لي هذا الأمر عندما كنت صغيرة كيف يمكننا عدهم؟ بمجموعة رباعية؟ أم بعشرة؟ إنها كثيرة جدا و...

قبلها "سوبر":

– و...

قبلها من جديد بطريقة أكثر إثارة هذه المرة.

– افتحي فمك قليلا من فضلك.

أطاعته بشيء من الإرغام ولكنها تجاوبت معه في النهاية بأسلوب أكثر إثارة. تعجب كثيرا من تلك الإثارة المفاجئة التي أبدتها الفتاة.

كانت شفتاها ساخنتين جدا، وفمها مغريا، وكانت الآهات التي تصدر منها من حين لآخر تثير "سوبر" لدرجة تجعل جسمه كله يقشعر. كان يشعر أن هناك آلافا من الفراشات الليلية تحت جفنيه المنسدلين.

تنهدت "بيب" عندما ابتعد الشاب عنها، وزاد هذا التنهد من رغبته فيها. انحنى نحوها من جديد، ولكن هذه المرة كانت لها المبادرة في التقاط شفتيه، كانت القبلة التي منحتها له أكثر عمقا من الأولى مما جعل "سوبر" يفقد تماسكه وفجأة، سألته قائلة:

– لماذا لم تذهب قط إلى المدرسة؟

– إنها قصة طويلة ومملة.

وضعت يدها على صدر الشاب وقالت:

– لا أعتقد أن هناك شيئا يمكن أن يكون مملا معك يا "سوبر".

تردد في الإجابة، كانت الثماني عشرة سنة الأولى من حياته من

www.elromancia.com

الموضوعات المحرمة بالنسبة له. كان يريد أن ينساها ولا يتحدث عنها أبدا. ولكن بغرابة شديدة، شعر بأنه مستعد وكله ثقة ليتحدث عنها مع الفتاة، كانت لديه الرغبة في أن يشاركها كل شيء.

– لقد ولدت بضعف خلقي في القلب، كأنه تعب قلبي. أحس بأصابع الفتاة ترتعش على صدره بينما كانت هناك نظرة قلقة تعبر في عينيها. ورد هو مطمئنا إياها:

– لا تقلقي، لقد انتهى كل شيء الآن، ولكنني أعترف أنني ظللت أعامل معاملة المعوقين لمدة سنوات طويلة. كنت أقضي معظم الوقت في السرير بدلا من تسلق الأشجار أو اللهو مع أقراني من الأطفال؛ ولهذا لم أستطع الذهاب إلى المدرسة ولكن كان لدي معلمون في المنزل.

– كان ذلك رهيبا، خاصة بالنسبة لطفل مليء بالحيوية مثلك.

– كان رهيبا جدا. لدرجة أنه كان علي أن أواجه إحباط أبي الذي كان يلعب لعبة "البيس بول" ضمن فئة أنصاف المحترفين وكان يحب الرياضة بصفة عامة. وأيضا جدي، "ميرث هايس". إنه هو أول من أنشأ مصنع لـ"ميرث".

سألته "بيب" وهي تنظر إليه:

– التي أصبحت فيما بعد شركة "ميرث" أليس كذلك؟

– هو ذاك.

– وكيف تم شفاؤك؟

– كان الأمر في غاية البساطة، فعند بلوغي الثامنة عشرة أجريت لي عملية بواسطة أكبر جراحي القلب. وتم علاج المشكلة على مرحلتين وبثلاث حركات. وبعد ثلاثة أشهر فقط كان يمكنني أن أفعل كل ما كنت محروما منه في طفولتي. هل تريدين أن تشاهدي الندبة؟ وبكل جدية قامت "بيب" بفك أزرار قميص الشاب. وضحك ممسكا بيديها وهو يصيح قائلا:

– لقد كنت أمزح! ومهما يكن فإن الظلام دامس ولن تستطيعي رؤية أي شيء.

– لكن لماذا انتظرت كل هذا الوقت لتجرى لك هذه العملية؟

تنهد طويلا:

– بسبب والدتي، فلقد كانت تصاب بجنون كلما تطرق أحد لهذا الموضوع. وبالتأكيد كانت هناك خطورة في العملية ولكنها تبقى صغيرة جدا بالمقارنة مع العمليات الأخرى. ومع هذا لم ترد أمي أن تناقش هذا الموضوع. وكان والدي قد مات في حادث عندما كنت في الثامنة من عمري فكانت خائفة من أن يحدث لي مكروه وكلما كان إلحاحي عليها يزداد كان رفضها أكثر شدة وتصلبا، كانت تقول: إن تكلفة العملية أكبر من إمكاناتنا المادية وإننا لا نستطيع أن نسمح لأنفسنا بها.

– أنا متأكدة أنها كانت تعتقد فعل الصواب.

– لا. لقد كانت أمي مريضة الأعصاب. ومتسلطة الطباع. وهي كذلك إلى الآن. كانت تخفي علي أن جدي تطوع لدفع كافة مصاريف العملية وأمرته ألا يخبرني بذلك أبدا. ولكن عندما بلغت سن العاشرة أو الحادية عشرة وكنت قد بدأت أهتم بالجانب المالي اكتشفت أنني كنت موهوبا في عمليات البورصة وشيئا فشيئا قمت باستثمار حصيلة النقود التي كانت تمنح لي في أعياد ميلادي وأعياد الكريسماس والتي كنت أوفرها بصبر كبير، وبدأت في كسب المال. بل الكثير من المال. والواقع أنه لم يكن لدي شيء آخر أشغل به وقتي باستثناء مشاهدة التليفزيون، قراءة الكتب واختراع الألعاب. وقمت بفتح حساب توفير ووضعت فيه نقودي، وكنت من حين لآخر أعرض ألعابي على جدي الذي تولى عملية تسويقها وكان العائد منها يوضع في حسابي مباشرة. عندما بلغت الرابعة عشرة كان بإمكاني دفع تكاليف هذه العملية الغالية. ولكن أمي أصرت على الرفض وبالتالي أجلت هذا الأمر مرة أخرى. كنت أعتمد كثيرا على القدرة الإقناعية لجدي ولكن كانت صحته قد تدهورت ثم مات قبل عيد ميلادي الخامس عشر بقليل بدون أن أكون قد تكلمت معه فعلا؛ ومن ثم لم يبق لي سوى حل وحيد لتخطي رفض أمي.

– أن تصبح راشدا أليس كذلك؟

www.elromancia.com

– بالضبط. وفي نفس اليوم الذي بلغت فيه سن الثامنة عشرة أصبحت حياتي ملكا لي وأول إثبات على إتمام استقلاليتي كان تحديد موعد مع أفضل جراح قلب في البلاد.

انحنت "بيب" عليه وقبلته على قلبه. ثم قالت:

– ومنذ ذلك الوقت كل شيء على ما يرام.

قبلها هو على جبينها ثم قال:

– تقريبا.

قالت "بيب":

– أرى أن بيننا أشياء كثيرة متشابهة، وخاصة طفولتنا الخاصة. أليس كذلك؟

– نعم.

وقال في نفسه: "اثنان من الأشخاص غير المتأقلمين".

وسألته الفتاة:

– أين أمك الآن؟

– إنها تعيش وحيدة في "فلوريدا" داخل شقة كبيرة كان والدي قد تركها لها. لابد أنها تلعب البريدج مع قريناتها من الأرامل العجائز. أظن أنها لن تسامحني أبدا بسبب أنني تحديت رغبتها ولكنني أعتقد أنها مسرورة بداخلها لأن كل شيء تم بسلام. على أي حال لم تعد هناك علاقة حقيقية تربطنا منذ زمن بعيد.

– ليتها تعلم ما فاتها، إنك شخص متميز حقا، أتعلم ذلك؟

رد وهو يبتسم:

– "ثانك يو" شكرا، شكرا جزيلا.

وقام بدفع الأرض بواسطة رجله لتتحرك الأرجوحة ذهابا وعودة بهدوء وهي تهدهدهما معا. أحس "سوير" بأن جسد "بيب" قد استرخى تماما بينما كان هو يتأمل الفراشات الليلية، حاول أن يعدها ولكنه تراجع في آخر الأمر. كان يفكر في القدر الذي أدخل في حياته امرأة لم يكن يأمل أبدا في لقاء واحدة مثلها، امرأة شديدة الكمال.

همس وهو يضع فمه على شعر الفتاة النائمة:

– فليساعدني الله، لقد وقعت في حبك حقا.

الفصل الخامس

– إنذار! إنذار! هيا فليستيقظ الجميع!

فتحت "بيب" عينيها مذهولة من هذه الجلبة ثم اعتدلت على سريرها. كان "سوير" يقف بجوارها مطبلا على إناء للطهو.

سألته وهي لاتزال نصف مستيقظة:

– ماذا تفعل هنا؟

رد وهو يجلس على طرف السرير:

– أقوم بإيقاظك، لقد نمت نوما ثقيلا ليلة أمس وقمنا أنا و"نان" بوضعك في سريرك، فلم يكن يبقى سوى ساعات قليلة على بزوغ النهار؛ ففضلت أن أمكث هنا، ووضعتني في غرفة الأصدقاء.

صاحت "بيب":

– وضعتماني أنت و"نان" في سريري؟

– في الواقع أنا الذي حملتك وهي التي قامت بالباقي. وعرضت عليها مساعدتي في ذلك لكن قلبها كان من حجر، ربما ظنت أن لدي أفكارا سيئة؛ ولذلك قامت بطردي فورا من الغرفة.

ردت "بيب" مبتسمة:

– إن هذا ليس غريبا.

ضحكا معا بصوت منخفض بعد أن أدركا بسرعة تواطؤهما.

هز "سوير" رجليها وقال:

– استيقظي، أيها الجمال النائم. لدينا الكثير لعمله والوقت قد تأخر. بالمناسبة، ماذا تريدين لوجبة الإفطار؟

شرائح خبز محمص على طريقة "سوير". ما قولك؟

– شرائح خبز محمص على طريقة "سوير"؟

– إنه تخصصي. سوف تكون على المائدة عندما تنزلين لتناول وجبتك.

– لكن أين "نان"؟

– أعطيتها إجازة لمدة يوم. قالت: إنها ستستغل ذلك للذهاب لزيارة أختها، هيا انهضي!

– لا أستطيع مادمت واقفا هنا.

تساءل متظاهرا بأنه متعجب من الأمر:

– ولم ذلك؟

– إنني عارية.

قام "سوبر" بتكشير وجهه وقال وهو يمرر نظره خلف الفتاة:

– لقد لاحظت ذلك.

التفتت فرات المرآة الموضوعة خلفها وقد كشفت ظهرها وجزءا من قميص نومها. فاحمر وجهها فورا.

عاد ليقول لها وهو يربت على كتفها:

– كنت أود أن أخبرك أنني معجب بقميص نومك الصغير هذا إنني أجده مثيرا جدا.

أحست "بيب" بقشعريرة تسري خلال جسدها الذي لايزال مشقلا. كانت تتعجب من هذه الصداقة الحميمة التي كانت تقوم بينهما بصورة طبيعية. لم تكن معتادة على مثل هذا النوع من الحوار وخاصة عندما يتم في غرفتها الخاصة.

ردت في النهاية بصوت به شدة:

– وأنا أظن أنه عليك أن تذهب لتحضير إفطارك الشهير على طريقة "سوبر".

وضع إصبعه أسفل ذقنها وقبلها بهدوء على شفتيها.

– "بيب" أرجو ألا تكوني خائفة مني. أليس كذلك؟

ردت بصوت ضعيف:

– على الإطلاق، ما الذي يجعلك تقول هذا؟

– لأنك هذا الصباح تبدين عصبية مثل الثور الذي تم إزعاجه أثناء

تناوله الطعام. ولكنني أود أن أخبرك فورا، لا داعي للقلق فلن أذهب أبعد من الحدود التي تسمحين لي بها، ولأي سبب من الأسباب وجدت أنني أخذت حريتي أكثر مما ينبغي ما عليك إلا أن تأمريني بالتوقف وسوف أتوقف فورا.

ردت قائلة:

– هذا جيد، إذن توقف للحظة واخرج من غرفتي؛ لأنني أريد أن أرتدي ثيابي وحدي.

قال وهو يضرب على فخذيه بشدة:

– حسنا! أظن أن اللعبة التي اخترعتها ما فتئت أن تنقلب ضدي بالرغم من أني كنت متأكدا من وضع قواعدها لصالحي.

ضحكت "بيب" ودعكت عينيها وهي تقول:

– إن التلميذ تفوق على أستاذه، لست أدري من من الفلاسفة الآسيويين قال هذا؟

رد "سوبر" وهو يبتسم بخبث:

– أعتقد أن الوقت قد حان لأقوم ببيع موسوعتي العالمية.

– ولم تفعل ذلك؟

اتجه ثانية إلى سرير الفتاة وقبلها على أنفها:

– لأنني وجدت توا واحدة أخرى بالإضافة إلى أنها تملك ساقين رائعتين حقا. بالزبد أم بدونه؟

ظهر على وجهها علامة عدم الفهم الكامل.

قال موضحا:

– شرائح الخبز المحمر.

– بالزبد.

– سوف أذهب لإعدادها.

اتجه نحو الباب ثم التفت مرة أخرى نحو "بيب" وقال:

– بالمناسبة، ارتدي شورت اليوم. ثم خرج وهو يصفر.

*****

www.elromancia.com

مرت ثلاث ساعات على وصولهما إلى حديقة التسلية في "هيوستن" عندما اقتربا في النهاية من البناء المعدني الضخم المسمى "جحيم تكساس" والذي يعد أضخم لعبة مرتفعات روسية في كل الولاية. كان عدد كبير من الناس يذهبون ويجيئون من حولهم وهم يتنقلون من لعبة إلى أخرى ضاحكين وكان بعضهم يأكل غزل البنات.

صاح "سوير" وهو يشير إلى لعبة المرتفعات الروسية قائلا:

– والآن امتحان قوة التحمل! هل تظنين أنك قادرة على ذلك؟

سألته "بيب" وفي صوتها ونظرتها شيء من القلق:

– أتظن أنها ليست خطرة؟

– طبعا، وإلا لما سمحت للأطفال بالذهاب إليها.

– أتسمح لهم بالذهاب إلى هذا الشيء؟ هل أنت مجنون؟

رد وهو يبتسم:

– لا. هل تتراجعين؟

ردت بشجاعة:

– بالتأكيد لا. فلست خائفة.

– إذن هيا بنا بسرعة.

– هل قمت بذلك من قبل؟

– عشرات المرات.

– حسنا. أرجو فقط ألا تبقى المقانق التي تناولتها جاثمة في معدتي.

أمسك بيدها وقادها نحو بوابة الدخول ودخلا معا. وكلما اقتربا من الموعد المرتقب زاد ضغط أصابع الفتاة على يد "هايس". كانت "بيب" قد استمتعت بجميع الألعاب السابقة حتى الآن، رافعة شعار التحدي ضد "سوير". ولكنه كان يرى أن الفتاة تسير نحو العربة الصغيرة كأنها محكوم عليه بالإعدام يساق إلى حبل المشنقة.

قال في نفسه: "إنها خائفة ولكنها شجاعة".

وقال مقترحا بصوت منخفض:

– آخر فرصة للتراجع.

ردت وهي تربط حزام الأمان بكل شجاعة:

– لا يوجد لدي أي نية في تغيير رأيي.

كان وجهها هو الدليل الوحيد على خوفها، وذلك بأن أصبح لونه أبيض من الرعب. وبمجرد وصول العربة إلى أول انحدار شديد، التصقت "بيب" بـ"سوير" وتشبثت بملابسه وكأنها طوق للنجاة واستمرت العربة في الدوران والصعود والنزول وعبثا حاول "سوير" أن يهدئ من روعها بواسطة كلماته؛ لأنها كانت تضيع هباء وسط صرخات الركاب الآخرين. عندما وصلا إلى نهاية الدور كانت "بيب" شاحبة وكان نظرها معلقا في الفضاء.

قال لها الشاب منبها:

– "بيب"! هل أنت بخير؟

ردت وهي تهز رأسها:

– لا. أظن أن المقانق معترضة على ذلك. يجب أن أذهب إلى دورة المياه حالا.

ساعدها للوصول بسرعة. قال وهو يحدث نفسه منتظرا إياها في الخارج: "أيها الأحمق التعيس. كان لابد أن تعلم أنها لم تفعل ذلك إلا للرد على تحديك الغبي لها! كم كنت غبيا بهذه الطريقة لتتركها تصعد وهي في هذه الحالة؟".

كانت الفترة التي قضتها بالداخل كأنها دهر بالنسبة له وكان ذلك يزيد من إحساسه بالذنب، كان يود أن يضرب رأسه في الحائط. وعندما رآها تخرج قال لها:

– إنني جد متأسف. لا أستحق سوى ركلة على مؤخرتي لأنني قمت باستدراجك لهذا الشيء الخطير.

قالت له وهي تطمئنه:

– لا عليك. ليس الأمر بهذا السوء. ليس عندي أي نية لركلك.

قال لها مصرا ومديرا لها ظهره:

– بل عليك فعل ذلك، هيا! إنني أستحقه.

– "سوير". أرجوك أن تكف عن هذا، لن أركلك أبدا، ثم إن الناس

الساحر

ينظرون إلينا وهذا يحرجني.

ألقى "هايس" نظرة حولهما ورأى بالفعل أن بعض الأشخاص ينظرون إليهما بسخرية. ثم قال:

– هذا معناه أنك عفوت عني؟

– ليس علي أن أسامحك على شيء، بل كان يجب أن أنتظر حتى تتم عملية الهضم لأقوم بذلك، هذا كل ما في الأمر. وساكون مستعدة للعودة ثانية بعد لحظات إذا رغبت في ذلك، كل ما أحتاجه الآن هو زجاجة "كوكاكولا" لأنسى هذا الحادث.

سألها باستغراب:

– هل تودين أن تعودي إلى هناك؟

– بالتأكيد! فأنا لست من النوع الذي يستسلم بسهولة. على كل حال لقد استمتعت بذلك حتى أول صعود، لا. إنني أبالغ قليلا، فلنقل تقريبا ولكن عندما وصلنا إلى الدوران بدأت الأمور تسوء عندي.

تمتم وهو يقترب منها:

– يا إلهي، أعترف أنك ذلك النوع من النساء...

– أي نوع من النساء تقصد بالضبط؟

ظهرت نظرة حنان عارم وسرور في عيني "سوبر هايس".

ثم قال هامسا:

– النوع الذي يناسبني بالضبط.

سأل "سوبر" "بيب" بينما كانا يهمان بالدخول إلى منزل الشاب:

– كيف حالك؟

– إنني مرهقة جدا. لا أستطيع أن أصدق أننا قضينا اليوم بأكمله نلهو في حديقة للتسلية، لكن من أين لك بكل هذه الطاقة؟

رد وهو يقود الفتاة نحو شرفة مرتفعة مشمسة واقعة في الطابق الثالث.

– ربما كان ذلك نتيجة ثمانية عشر عاما ضائعة. تفضلي بالجلوس، ماذا تريدين أن تشربي؟

ردت "بيب" وهي تجلس على أريكة مريحة:

– لتر من أي شيء بارد ومنعش سوف يفي بالغرض.

– كوكتيل؟ كوكا؟ ماء؟ عصير ليمون؟ شراب؟

ردت قائلة:

– عصير ليمون، سيكون ذلك جيدا!

قال وهو يضع ساقي الفتاة على مسند الأرجل:

– حسنا، خذي قسطا من الراحة. فمايزال الوقت مبكرا، ثم إن عليك أن تستجمعي قوتك لتتلقي درسك الأول في الرقص.

قالت بمظهر متعب:

– لا أعتقد أنني في حالة تسمح بذلك، لا أشعر أنني بلياقة جيدة.

اعترض قائلا:

– بل أجدك في كامل لياقتك. وأرى أنه يمكنك القيام برقصة الرومبا.

وبدأ يقوم ببعض الحركات الراقصة وهو يتظاهر بالرقص مع شخص وهمي.

انتابت "بيب" ضحكة جنونية، وقالت متوسلة:

– "سوبر"، إنني أموت عطشا.

توقف للحظة ثم قام بحركة احترام للفتاة وقال:

– رغباتك أوامر. احتجزي فقط غروب الشمس حتى أعود.

– ليست هناك مشكلة في ذلك.

نظرت إلى المنزل. كان مبنى منعزلا وسط الغابة، مبني بالكامل من الأخشاب والزجاج. وكان متناسقا مع كل الطبيعة الموجودة حوله. كان يعكس سكون المكان وجماله.

أغمضت "بيب" عينيها للحظة وبدأت تفكر. كانت متأكدة بأن "سوبر" كان يعيش في شقة كبيرة وسط "هيوستن"، أيضا، عندما رأت الطائرة المروحية تبتعد عن وسط المدينة لتتجه نحو التلال المشجرة التي تحيط بها، كانت تشعر بحيرة لكنها الآن- بوجودها عنده- كان عليها أن تعترف بأن المكان يتناسب تماما مع شخصية "سوبر هايس". كانت عزلة تتفق في العمق مع شخص وحيد.

www.elromancia.com

أحست بأن هناك شيئا يلامس قدميها، فتحت عينيها لتفاجأ بقط أسود ذي عينين ذهبيتين قفز ليستقر على ركبتيها في مرونة كبيرة، كان يحدق فيها بعناية.

قالت "بيب" وهي تداعبه:

– أهلا بك يا هذا، من أين أتيت؟

قام القط بحك رأسه في يديها ثم بدأ في المواء.

قال "سوير" وهو يحمل صينية عليها بعض المشروبات:

– أرى أنك قد تعرفت على "شادو"، عليك أن تشعري بالفخر لأنه عادة ما يكون متوحشا مع الغرباء.

– إنني أعشق الحيوانات، ولكنني لم أحظ بواحد من قبل.

– حتى عندما كنت طفلة؟

هزت رأسها نافية وهي تداعب القط الذي تمدد بكامل طوله على الفتاة:

– إن أعمامي عندهم حساسية لشعر القطط، والكلاب وكل الحيوانات الأليفة.

قام "سوير" بتقديم كوب كبير من عصير الليمون إلى الفتاة قبل أن يستريح على الأريكة المقابلة لها، خلع حذاءه ثم مد رجليه أمامه.

تمتم قائلا:

– هذه هي الحياة الحقيقية.

– إن هذا المكان جميل جدا، عندي إحساس بأنني في كوخ بعيد عن العالم.

– كانت الفكرة الأولى عندما كنت طفلا، كنت أحلم بهذا طول الوقت. ألم تكوني تحلمين بشكل منزلك عندما كنت طفلة؟

– لا أذكر ذلك جيدا.

قال وهو يبتسم:

– كنت غارقة في نظرياتك الرياضية. أليس كذلك؟

ردت "بيب" وهي حالمة تداعب "شادو":

– ربما، كنت أود أن أشكرك على هذا اليوم الجميل جدا، أرجو أن يكون إحساسك مثلي.

قال "سوير" مؤكدا:

– طبعا، ولكن كما قلت لك من قبل، إن اليوم لم ينته بعد. بمجرد أن تستردي أنفاسك سيكون لنا لقاء مع جهاز التسجيل لتنالي أول حصة في الرقص. وبطبيعة الحال سوف أقوم بدعوتك لتناول العشاء أيضا.

– كل هذا؟

– أجل! السيدة "تنكر" – المرأة التي تعتني بالمنزل – قامت بتحضير طبق صغير من الطعام الذي تحتفظ بسره. ليس علي سوى القيام بتسخينه ثم ناكل بعد ذلك.

– لكن...

– لا تقلقي، لقد أعلمت "نان" بالا تنتظرنا؛ لأننا ربما تأخرنا في العودة.

– كأنك فكرت في كل شيء.

قال بفخر:

– بالضبط، انظري إلى هذا الغروب أليس رائعا؟

كانت الشمس أمامهما تغرق شيئا فشيئا خلف الأفق بجلال مطلق. وكان الطيور أيضا كانت تحتفل بتغريدها بغروب الشمس خلف أشجار التلال البعيدة. أدى جمال وهدوء هذه اللحظة إلى تساقط قطرات دموع من عيني الفتاة.

– يوجد هنا شيء ساحر، كأنه جمال غير طبيعي. ولولا أنني أملك فكرا منهجيا لكنت سأقول: إنني أستطيع أن أرى جنيات المساء وهي ترقص في الضوء.

قال لها متسائلا:

– ألا تؤمنين بالجنيات؟

– على الإطلاق، أنا متأكدة أنك لا تؤمن بها أيضا.

صاح بكل جدية قائلا:

www.elromancia.com

– إنك مخطئة.

– أنت تسخر مني بالتأكيد، على كل حال إنك تفعل ذلك بطريقة متقنة جدا لدرجة أنني لا أعرف متى تكون جادا ومتى لا تكون كذلك؟!

احتج "سوبر":

– بل أنا في منتهى الجدية. إنني أؤمن بالجنيات. ألم تسمعي "سكوتر" وهو يقول: إن الفارة الصغيرة وضعت له قطعة نقود؟

غمز لها بعينه.

ردت وهي ترفع كتفيها لأعلى:

– لا أقصد هذا النوع من الجنيات، بل أقصد تلك التي تعيش في الأزهار أو في جذوع الأشجار.

– هل تريدين أن تقولي إنك لم تري أيا منها أبدا؟

– بالطبع لا! إن مثل هذه المعتقدات خارجة تماما عن الحقيقة العلمية. لم يمكن إثبات وجود مثل هذه الكائنات. ولا تقل إنك قابلت جنيات كثيرات في الطرق المؤدية إلى الغابة؟

رد وهو يقطب جبينه:

– لن أقول لك ذلك إذن.

نظرت "بيب" إليه ثم رفعت عينيها إلى السماء، وتحولت ابتسامة الفتاة البريئة شيئا فشيئا لتصبح شرودا فكريا حزينا نوعا ما. وضع يده على يد صديقته وداعبها طويلا.

قالت في النهاية:

– فيم تفكر؟

– كنت أتساءل عن مدى تأثير عدم الإيمان بالجنيات في نمو الطفل. أعتقد أنك لا تؤمنين بـ"بابا نويل" أيضا.

– بالفعل، فعماي كانا يظنان انه احتقار للذكاء إذا ما صدقنا بوجود رجل بدين طيب أحمر ذي لحية بيضاء قادر على قضاء ليلة كاملة في التنقل من مدينة إلى أخرى ليقوم بوضع اللعب.

ولكن هذا لم يمنعنا من الاحتفال بعيد "نويل"...

– يعلم الله كم أخطأت أمي في طريقة تربيتي على مستويات كثيرة، لكن لم يكن مقبولا أبدا ألا نحتفل بـ"نويل" كما ينبغي. وأستطيع أن أقسم بأن التقاليد كانت محترمة بدقة.

وتوقف برهة عن الحديث ثم عاد ليقول:

– إني أتذكر أنني كنت أحلم طويلا بأنني أستطيع الطيران مثل "بابا نويل". يا إلهي كم كانت لدي الرغبة في الطيران! وقلت لنفسي: إنني لو آمنت بذلك جيدا لتمكنت في النهاية من الطيران. وكنت سأشبه "سوبرمان" أو شيئا من هذا القبيل. ألم تشعري قط بمثل هذه الرغبة؟

ردت "بيب" بهدوء:

– بلى، مرة واحدة.

قال وهو ينحني نحو الفتاة:

– ثم؟

– كنت في السادسة أو السابعة من العمر، وكنت قد صنعت لنفسي زوجا من الأجنحة البدائية بواسطة مفرش قديم وقررت أن أحاول الطيران من على سقف سيارة العم "إيموري".

– وماذا حدث؟

– رآني العم "والدو" وهو عائد من الكلية، واستطاع أن ينقذني قبل أن ألقي بنفسي على الأرض، ثم قام بشرح طويل على أصول ديناميكية الهواء ولماذا لا يستطيع الإنسان أن يطير.

همس "سوبر" قائلا:

– يا للأسف!

اعترضت "بيب" ثائرة:

– لا. كنت أفضل أن يقول لي ذلك على أن أضر نفسي بسبب جهلي بالأمور. فلم أقم بعد ذلك بمحاولة فعل شيء كنت أعلم مسبقا أنه مستحيل.

– لكن الطيران ليس مستحيلا. إنني أقوم بذلك كل يوم.

– طبعا ولكنك تستخدم آلة مصنوعة لهذا الغرض والأمر هنا مختلف تماما.

اعترض الشاب بدوره قائلا:

– ليس لهذه الدرجة! فالأمر مجرد تحقيق لحلم طفولة ليس أكثر.

– إنك تعلم أنه لا يوجد شيء سحري في عمل طائرة مروحية. فما هو إلا خلاصة أبحاث علمية متقدمة.

– تفسرين الأمر بطريقتك وأنا أفضل أخرى. وأفضل أن أؤمن بالسحر البشري.

هزت رأسها وقالت:

– لا أمل في إصلاحك.

– لماذا؟ لأنني أؤمن بالسحر؟ كيف إذن تفسرين المرح، الصداقة... الحب؟

– إنها مجرد ردود أفعال للتصرفات، بالإضافة إلى نوع من التفاعل الكيميائي بين الأشخاص.

رد "سوبر" وهو يمد لها يديه:

– أعتقد أنه من الأفضل أن تبدئي منذ الآن في برنامج مكثف لتخليصك من ردود الأفعال العلمية. وفي انتظار ذلك هيا بنا لتناول الطعام.

تناولا عشاءهما في المطبخ الذي كانت نوافذه الزجاجية الضخمة تطل مباشرة على الغابة. كانت الأفكار التي تبادلاها تجعل الفتاة تشعر بطعم غريب. وبعيدا عن اختلاف آرائهما الذي كان يشعرها بنوع من الحزن كانت تحس أن صديقها كان جادا عندما كان يتحدث عن السحر. وعندما رأت "بيب" مجموعة من الغزلان تمر على بعد أمتار منهما كان عليها أن تعترف بأن هذا المكان يخفي شيئا خاصا، ساحرا. ولكن "سوبر" كان أكثر شيء تجده خاصا، كان رجلا مختلفا. وقالت تحدث نفسها وهي تنظر إليه:

"فريد أيضا".

أحس الشاب بنظرة "بيب" إليه فرد بصمت.

قالت في النهاية متسائلة:

– فيم تفكر؟

مد يده ناحية الفتاة وقام بتمرير أصابعه بطول ذراعها. كانت هذه الحركة الحانية تجعل جلد "بيب" يقشعر.

– أفكر فيك. إنك لطيفة لدرجة أنني أصبحت مجنونا بك وتعتريني رغبة جامحة في تقبيلك.

كان قلب "بيب" يخفق بشدة وشعرت بنفحة ساخنة بداخلها تسري في كل جسدها. ولكنها كانت ما تزال قلقة لتعترف بأنها ترغب في نفس الشيء الذي يرغب فيه الشاب الجالس أمامها.

ثم قالت وهي تتناول الأطباق لتنظف المائدة:

– لابد أن نرتب المكان.

تمتم "سوبر" وهو يبتسم بسخرية:

– أيتها الجبانة.

تجاهلت كلماته وقامت بوضع الأطباق المتسخة في الحوض.

اقترب الشاب من "بيب" وقال لها:

– اتركي كل هذا، فسوف تعتني السيدة "تنكر" بها غدا. ولا تحاولي أن تختفي خلف الأطباق لتتجاهلني ما أريد أن أقوله لك: إنني بدأت أقع في حبك، ولا يمكنك فعل أي شيء ضد هذا، إنني أشعر برغبة فيك. ولن يمكنك أيضا فعل شيء ضد هذا. إن هذا الأمر سحري تماما، وطبيعي جدا.

فتحت "بيب" فمها وكانها تريد أن تقول شيئا لكنها لم تستطع ذلك، كانت الإثارة التي تتملكها تمتزج بقلق خفي مما جعلها تشل تماما.

أضاف "سوبر" قائلا وهو يقترب منها ويضع شفتيه على شفتيها:

– سوف أقوم بتقبيلك.

ضمها إليه بشدة وقبلها. ارتعدت "بيب" والتصقت به وتركت نفسها

www.elromancia.com

لتستمتع بقبلته التي كانت تزداد شدتها شيئا فشيئا. وفجأة ظهر صوت قطع متعتهما، حاولا أن يتجاهلاه لكنه كان صوت رنين مستمر. وابتعد "سوبر" بعنف عن "بيب" وتناول بحركة عصبية هاتفه المحمول الذي كان يتدلى من حزامه وهمس لها قائلا:

– إنها المزرعة، سوف أعود إليك حالا. احتفظي بالمكان. كانت "بيب" تنظر إليه وهو يجري مكالمته وكان تعبير وجهه ينم عن قلق ما، ثم قام بإنهاء المكالمة.

قالت "بيب" متسائلة في قلق:

– ماذا يحدث؟

– أصابت الحمى "سكوتر" ويبدو أن "دافي" أيضا على وشك أن يسقط مريضا. لا شيء خطير ولكنني يجب أن أتأكد من ذلك بنفسي. لن يدوم ذلك كثيرا، ويمكن أن...

ردت "بيب" وهي تهز رأسها:

– لا عليك، على كل حال إنني متعبة جدا، وأفضل أن آخذ درس الرقص في يوم آخر.

نظر إليها "هايس" في صمت ثم رد قائلا:

– الواقع أنني نسيت تماما دروس الرقص.

*****

كانت "بيب" قد خلدت فعلا إلى النوم حينما رن جرس التليفون:

– مساء الخير، أنا "سوبر"، كيف حالك؟

– بخير، والأطفال؟

– أصيب "سكوتر" بداء "الحميراء" وبدأت نفس الأعراض تظهر على "دافي" أيضا، كنت أظن أنهما تلقيا المصل من قبل، لقد حضر الطبيب وقام بإعطائهما العلاج المناسب، وعلى أي حال ونظرا لحيويتهما فاعتقد أن الأمر لن يستمر أكثر من ثلاثة أيام يقومان بعدها. وقاما بقضاء حوالي

نصف ساعة يتحدثان في أشياء مختلفة قبل أن يقول الشاب في النهاية:

– هل تحسنين التزحلق؟

ردت "بيب" بنوع من الحرج:

– إنني أجهل كل شيء عن هذا الأمر، ولم أحاول ممارسته أبدا.

صاح "سوبر" قائلا:

– ماذا؟ أبدا؟

– كلا، ولكنني أعرف ركوب الدراجة.

– حسنا جدا، إذن ساكون عندك غدا صباحا ومعي دراجتي طبعا، إلى الغد إذن.

– إلى الغد.

وضعت "بيب" السماعة. أطفأت الأنوار وانكمشت تحت أغطيتها. ولكنها لم تستطع النوم من جديد.

كان وجه "سوبر" يتملك منها ولم تستطع أن تهرب منه. كانت تسمع ضحكاته في أذنيها، وكانت ترى نظرته. بل أكثر من ذلك فقد كانت تحس بشفتيه تلامسان شفتيها وأيضا بنفس الحرارة التي شعرت بها أثناء لقائهما المثير.

لقد جعلها هذا الرجل تكتشف شيئا جديدا لم تشعر به من قبل: الإثارة. حاولت عبثا أن تعود إلى النوم، كانت كل حركة تقوم بها تذكرها به، كان كل جزء من جسدها يرغب في "سوبر". لم يسعفها تفكيرها المنهجي في معرفة إلى أي مدى يمكن أن تصل في برنامج إعادة تاهيلها اجتماعيا ولكن ما فتئت صورة "سوبر هايس" أن تتغلب على ذلك وتعود مرة أخرى مع كل الأحاسيس التي استسلمت لها "بيب" بحرية.

الفصل السادس

دخل "ليونارد هوكر" إلى مكتب "سوبر هايس" وهو غاضب وساله:

www.elromancia.com

– أين كنت خلال الأسبوعين الماضيين، لقد بحثنا عنك كثيرا ولم نكن نعلم كيف وأين نتصل بك؟

رفع الشاب نظره بعد أن قطع اهتمامه بحذاء التزحلق الذي اشتراه توا لـ"بيب"، وقال بهدوء:

– أهلا عم "لين"، لقد كنت... مشغولا.

رد رجل الأعمال بغضب شديد:

– مشغولا؟ مشغولا في ماذا؟ على أي حال لن نستطيع أن نقول: إنك كنت مشغولا بامور المكتب منذ فترة كيف يمكنك إدارة هذه الشركة إذا لم تكن موجودا بها لتعرف كل ما يحدث فيها؟

ترك "سوير" حذاء التزحلق وانغمس في كرسي الإدارة الخاص لينظر جيدا إلى وجه عمه:

– مثلما أفعل دائما حتى الآن يا عم "لين": أعطيك أعلى أجر في الشركة بالإضافة إلى ربع الأرباح لكي تعتني بكل هذا بدلا مني. والآن إذا كنت تريد أن تستقيل أو تأخذ معاشك فإنك تعلم جيدا أن "هيربرت بوركالتر" يستطيع أن يقوم بالعمل بدلا منك بمجرد أن ترغب في ذلك.

تغير تعبير وجه "هوكر" فجأة ورد مسرعا:

– لا، لا لم أقصد ذلك. كنت فقط قلقا نوعا ما بشأن هذا... آه، المشروع الذي قلت: إنك سوف تعتني به. وكنت أود أن تخبرني بما تم، هذا كل شيء.

– لقد قضيت وقتا طويلا جدا مع "بيب"... آسف مع الدكتورة "لي بارون". في الواقع، لم ينقطع عن رؤيتها خلال الأسبوعين الماضيين. لقد قاما بركوب الدراجات، والذهاب إلى حديقة الحيوان، كما شاهدا مباراة في "البيس بول" في ملعب "هيوستن". كما قام "سوير" بتعليم الفتاة جميع أنواع الرقص المختلفة، وكيفية التزحلق على العجل. دون ذكر دروس ركوب الخيل مع الفرس "بلوسوم" في كل مرة كانا يزوران فيها مزرعة "ميرث". حيث كان "سكوتر" ورفاقه يقدرون كثيرا تقدم الدكتورة

"بيب" في كل درس. ثم قاما في بعض الأحيان– لكي يهربا قليلا من تلك الأمور– بجولات طويلة معا، تمتعا خلالها بجمال الطبيعة في الحقول التي كانت تحيط بالمزرعة، وكانا يتحدثان لساعات طويلة عن أشكال السحب ويضحكان لهذه الراحة التي تجمعهما بدون أن يشعرا بذلك ومن جانبها كانت "بيب" قد بدأت في إعطاء بدايات اللغة الإنجليزية للشاب. كان يتعلم سريعا، ولكن ذلك كان بسبب حلاوة نطقها للكلمات أكثر من أي سبب آخر. كان قد قرر أن يقبل "بيب" في كل مرة تمدح فيها تفوقه في التعلم. ولم يقم "سوير" بمثل هذا الجهد في التعلم حتى وهو طفل.

جلس "ليونارد" على أريكته المقابلة لمكتب ابن أخيه ثم قال له:

– كيف حال الدكتورة "لي بارون"؟ هل تظن أنك سوف تستطيع الوصول إلى أهدافك؟

تمتم "سوير" بنوع من الحرج:

– نعم، بطريقة ما.

– هل تريد أن تقول: إنها سوف تكون مستعدة للعمل معنا؟

رفع الشاب عينيه إلى السماء وقطب جبينه ثم قال:

– في الحقيقة لا. ليس الآن، ليس الآن تماما.

– ماذا يعني قولك: "ليس الآن تماما" يا "سوير"؟

رد "سوير" بدون تردد لأنه كان يعلم مدى ثورة عمه لو علم بالأمر:

– إنها الآن مشغولة بمشروع آخر.

لو كان "سوير هايس" يعرف كيف يتحكم في عمه، كان يكره أن يفعل ذلك بطريقة مباشرة جدا؛ لأنه كان يعلم أنه صاحب فضل كبير عليه، فالواقع، عندما مات جد "سوير"، ضحى "هوكر" بفرصة عمل كبيرة كضابط في البحرية لكي يستطيع الوقوف بجانب "سوير" وأمه في شركة "ميرث".

وكان الشاب قد فكر كثيرا في أن يطلب من "هوكر" أن يسوي معاشه بطريقة جد محترمة ويخلد أخيرا إلى الراحة، ولكنه لم يجرؤ أن يفعل ذلك

www.elromancia.com

مخافة أن يؤله.

كانت رؤيتهما حول إدارة الشركة تختلف من النقيض إلى النقيض، فبينما كان "سوير" رجل أفكار يأخذ إدارة الشركة بطريقة هادئة متبعا في ذلك حدسه، كان "هوكر" رجل أعمال حقيقيا شديد المراس وعنيدا في دفاعه عن الشركة وكان يعمل بلا هوادة. لم يكن هذا فقط ما يميز أحدهما عن الآخر بل كان الرجل العجوز لا يقبل أن تذهب حصة من الأرباح في مشاريع مثل مشروع المزرعة الذي كان يعتبره "هوكر" مجرد تبذير.

قال "ليونارد" قاطعا حبل أفكار "سوير":

– هل حاولت المزايدة؟

تساءل الشاب قائلا:

– بخصوص ماذا؟

انفجر "هوكر" غاضبا وانتفخت أوداجه وقال ثائرا:

– كيف "بخصوص ماذا"؟ بخصوص الأجر أيها الأحمق! هل عرضت عليها مرتبا أكبر من الذي تحصل عليه حاليا؟

لم يجد الشاب ردا على هذا السؤال بل ترك عمه يواصل هجومه عليه:

– "سوير"، لابد علينا أن نطرق الحديد وهو ساخن في مشروع الحقيقة الوهمية هذا لأن الكشيرين بداءوا يحومون حوله، وإذا فشلنا نحن فيه فسوف تكتسح شركات أخرى هذا السوق الذي نحظى نحن فيه إلى الآن بمكانة متميزة؛ لذا أقترح أن تحاول أن تجعل الدكتورة "لي بارون" توقع على عقد وإلا فسوف أعتني بذلك شخصيا.

وقف "هايس" فجأة وهو يوجه إصبعه ناحية عمه مهددا إياه:

– إنني أمنعك، أتسمع، إنني أمنعك من الاقتراب من "بيب" باي طريقة كانت حتى يثبت العكس مازلت أنا المدير العام، وأكبر المساهمين في "ميرث"، ولآخر مرة يا عم "لين"، سوف أفعل ما أشاء في الوقت الذي أشاء، هل هذا واضح؟

نهض "ليونارد هوكر" بدوره، كان وجهه محمرا من الغضب والغيظ،

ونظر طويلا إلى ابن أخيه ثم تمتم قائلا قبل أن يستدير ليخرج من الغرفة مسرعا:

– واضح تماما.

بعد أن قام الرجل العجوز بغلق الباب خلفه بشدة. انهار "سوير" على كرسيه وأمسك برأسه بين يديه وهمس قائلا:

– يا إلهي!

كانت تلك المواجهات المتزايدة تعذب الشاب؛ لأنه كان يعلم أنه سيأتي يوم يطلب فيه من عمه الاستقالة. ولهذا كان يمهد لذلك بأن قام بتعيين "هيربرت بوركالتر" منذ سنتين، ليحل محله. كان هذا الأخير رجل أعمال حقيقيا، وبالرغم من كونه شابا إلا أنه يتعلم بسرعة، وكانت ميزته الأساسية هي انتماؤه إلى جيل أكثر مرونة وأكثر تقبلا للمناقشة من "ليونارد" الذي كان صلبا وغير متفاهم.

هز "سوير هايس" رأسه ثم طلب سكرتيرة مكتبه على الإنترفون:

– "جلوريا"، هل حصلت على تذاكر الحفلة الموسيقية؟

– بالطبع، سيدي المدير. لقد حاربت طويلا من أجل ذلك ولكنني حصلت في النهاية على أماكن جيدة.

ساد صمت قصير:

– سيدي المدير، هل أستطيع أن أسألك عن شيء؟

– نعم يا "جلوريا".

– ما هذه الفرقة المسماة بـ"المجانين الغاضبين"؟

ابتسم "سوير" في صمت.

*****

كانت الضوضاء لا تطاق، وكان محبو "المجانين الغاضبين" في حالة هستيرية أكثر من الحالة التي كان عليها المطربون ذوو الشعر الطويل الذين يغنون من أجلهم. كانت حركة الجماهير تزداد عنفا مما جعل "سوير" يقلق

وأشار إلى "بيب" بأن تتبعه. ابتعدا عن القاعة ليجدا نفسيهما على السلم المؤدي إلى قاعة الحفلات.

انحنى "سوير" ناحية الفتاة ثم قال لها:

– كيف وجدت هذا؟

قامت هي بتسليك إحدي أذنيها ثم قالت:

– معذرة؟

كرر عليها نفس السؤال.

– لست أدري، ربما وجدته مثيرا للاهتمام لكنه قوي بعض الشيء.

– هل تودين العودة؟

– فقط إذا عدت أنت وإلا...

رد الشاب وهو يتجه نحو باب الخروج:

– إذن هيا نخرج من هنا.

بعد لحظات من خروجهما من القاعة قالت "بيب":

– أظن أنني تعرضت إلى صدمة ثقافية، فيداي ترتعشان، وقلبي يخفق بشدة، وأجد أيضا صعوبة في التنفس، هل هذا طبيعي؟

تمتم قائلا:

– طبيعي جدا، فالموسيقى يمكن أن يكون لها هذا المفعول. كانت "بيب" تتساءل إذا ما كانت رغبتها في أن يقبلها "سوير" هي الأخرى طبيعية ولكن أخلاقها وحياءها لم يسمحا بطرح هذا السؤال. ارتعدت أوصالها.

– ماذا بك؟

– كل شيء على ما يرام.

قالت لنفسها مؤنبة: "أيتها الكاذبة!".

لقد كانت تشعر بأن الموسيقى والجو العام قد أدى إلى إثارة شيء ما بداخلها، مما أدى بدوره إلى اضطرابها. وكان فكرها العلمي عاجزا عن تفسير هذا النوع من الإثارة التي تشعر بها تجاه "سوير" الآن. وللمرة الأولى

في حياتها، كانت "إليزابيث لي بارون"، الدكتورة في الفلسفة، منجذبة جسديا وعاطفيا إلى رجل. كانت تخشى إن هي باحت له بما يجول بخاطرها أن يهزأ هو من مشاعرها أو أن يقوم برفضها، كانت الخواطر تتصارع بداخلها لدرجة أنها بدأت تشك في سلامة عقلها. ورأت أن تتصل بـ"كارول فينهويزن" لتطلب منها المساعدة فهي على كل حال طبيبة نفسية.

*****

بعد أن قامت بترتيب الأواني المستعملة أثناء النزهة الخلوية التي قامت بها مع "سوير" بالقرب من منزله، تذكرت الفتاة لقاءها مع "كارول" التي قالت لها:

– "كل ما تشعرين به أمر طبيعي، لا داعي على الإطلاق للقلق، إنك فقط تعيشين فترة مراهقة متأخرة بعض الشيء".

– هل أنت متأكدة؟

– لا يوجد أي شيء غير طبيعي في هذا. إلا السن التي تشعرين فيها بهذه الأحاسيس. الشيء الوحيد الذي يجب عليك مراعاته هو عدم ترك نفسك تنساقين وراء كل ما تحسين به أو سوف تحسين به. لابد أن تكوني يقظة وحاولي أن تجعلي تجربتك تتم بالتدريج، وعليك أنت أن تحددي ما يليق بك أكثر.

نظرت "بيب" إلى "سوير" المستلقي بجوارها وكأنه يغط في نوم عميق. كانت تتأمل فيه، وكان حتى هذه اللحظة يملأ حياتها حتى عندما يكون غائبا عنها. كانت تفكر فيه طوال الوقت، تحلم به في نومها، وعندما يكونان معا يوميا تقريبا، من الثامنة صباحا حتى منتصف الليل– لم تكن ترى سواه. كان يحتويها.

رأت "بيب" أن "سوير" يحرك يديه، وبدأت عيناه ترمشان بينما كان لايزال مستلقيا، ثم بدا وكأنه يبحث عن شيء ما. سألته:

www.elromancia.com

– عم تبحث؟

– عن نبات نفل ذي أربع ورقات.

– لماذا؟

صاح قائلا:

– لكي يجلب لي الحظ، ماذا تظنين غير ذلك؟

– هل تؤمن حقيقة بمثل هذه الأمور، الحظ، القدر؟

اعترض "سوير" قائلا:

– بالطبع نعم! فكيف تعتقدين أنني وصلت إلى ما أنا فيه الآن؟

– بالكثير من العمل والذكاء، أظن.

– خطأ. بالحظ فقط. هل تعلمين لماذا؟ لأنني أقوم بجمع النفل ذي الورقات الأربع منذ أن كنت طفلا، إن عندي كتابا مليئا بها. وأذكر أنني عندما وجدت أولها اكتشفت كيف أستخدم نقودي التي كنت أوفرها في البورصة وأجعلها تتكاثر. ضربة حظ حقيقية.

– بل هي المصادفة البحتة؛ لأن النفل ذا الورقات الأربع ما هي إلا طفرة عادية تصيب هذا النوع من النبات.

– حسنا... أقترح عليك شيئا سيثبت لك صدقي. أي منا سيجد عددا أكبر من النفل ذي الورقات الأربع سوف ينال مكافأة.

– وما هي.

– الخاسر سوف يقوم بدفع ثمن العشاء عند "فارجوز" وبعد مرور ساعة، قام المتنافسان بعرض غنائمهما فوق البطانية.

سألها "سوير":

– كم وجدت؟

– خمس وأنت؟

– خمس أيضا.

قالت الفتاة بهدوء وهي تفكر:

– تعادلنا إذن، إنه أمر مزعج.

قال الشاب مقترحا:

– فلنستمر في البحث عن طريق لعبة الموت المفاجئ.

– الموت المفاجئ؟

– الأول الذي يجد النفل السادس يفوز بالمكافأة. أمر سهل أليس كذلك؟

بدون أن تضيف أي كلمة ألقت "بيب" بنفسها وسط حقل النفل من جديد وهي تبحث بشغف. ولكن "سوير" لم يتحرك، كان ينظر إليها فقط. كانت متحمسة بطريقة طفولية ولكنها كانت مندمجة بشدة.

قال "سوير" في نفسه: "إنني شغوف بها حقا".

في الواقع لم يكن شغوفا فحسب، بل كان واقعا في حبها بجنون. كانت تشغل تفكيره منذ عدة أسابيع مضت، ولم يكن تأثيرها عليه تأثيرا جسديا فقط، بل كانت تمارس عليه سلطة دائمة، بطريقتها في الحديث عن الأشياء، بتواضعها الشديد بالرغم من غزارة ثقافتها وارتفاع مستواها الدراسي، ولكن الشيء الذي كان يطغى في حبه لها هو: تلقائيتها.

كان أمامها يشعر بأن لديه روح مغامر مستعدا لتسلق الجبال، قطع الصحارى والأدغال المتوحشة ليعود بالكنوز المجهولة ويضعها تحت أقدام محبوبته.

صاحت الفتاة وهي تلقي بنفسها على "سوير":

– لقد وجدت واحدا! أظن أن الحساب سيكون عليك، لقد خسرت!

نهضت ومسحت ركبتيها، ثم نظرت إلى الشمس التي مالت إلى الغروب، مدت يديها نحو "سوير" الذي أمسكها برفق.

– هل ستضع كل هذه الأنفال ذات الورقات الأربع في كتابك الكبير الجالب للحظ؟

رد "سوير" وهو يهز رأسه بهدوء:

– لست أدري. أعتقد أن لقائي بك كان أكبر حظ في حياتي كلها.

ساد صمت طويل، كان خلاله "سوير" يداعب شعر "بيب" التي كانت

www.elromancia.com

تريد أن تقول له شيئا ولكنها فضلت احترام صمته.

*****

تناولا عشاءهما في المنزل بسرعة، وكانا خلال ذلك يتحدثان عن أشياء غير ذات أهمية، كان كل واحد منهما يفكر في لحظة الفراق، وفجأة رن جرس الهاتف عدة مرات دون أن يلتفت "سوير" للرد.

سألته "بيب":

– ألا ترد على التليفون؟

– لا، لابد أنها أمي مرة أخرى، ولقد قمت بتوصيل جهاز الرد الآلي.

– ألا تريد أن تكلمها.

– لا. على أي حال لقد تحدثت إليها بالأمس، ولكن الأمور ساءت بيننا وقمت بتجاهلها.

– لكن. لماذا؟

– إن عمي "لين" يحاول هذه الأيام أن يتدخل في شؤوني، وأنت تعرفين طريقته في إدارة الشركة ووجهة نظره فيما يخص المزرعة، إنه يفعل نفس الشيء مع حياتي الخاصة. وبمجرد أن يظهر أي خلاف في وجهات النظر بيننا يقوم بالاتصال بأمي لنجدته.

– لكنني كنت أظن أنك المدير العام في "ميرث"؟

– إنني كذلك. لكن العم "لين" موجود منذ وفاة جدي وساعدني كثيرا خاصة في البداية. ولكن شدته كضابط سابق تحول دون تفاهمنا. فليس لدي فكرة أن أكون موظفا وأن أذهب يوميا إلى المكتب للعمل. وهذا ما يعيبه علي.

– لابد أن تعترف أنك قضيت وقتا طويلا معي خلال المدة السابقة.

– هذا صحيح ولكنني أقوم بزيارات منتظمة لمقر الشركة لأتفقد السير الحسن للأمور، وكل شيء يبدو على ما يرام، وعلى كل حال فإن هذه الشركة مربحة، وأمي تحصل على كل النقود التي تريدها وأنا أيضا، فلماذا

إذن كل هذه الضجة حول عدم ذهابي كل يوم إلى المكتب؟ إنني أفضل أن أكون معك. إنني أعشق ذلك.

فكرت "بيب" مليا، بعد ما أصابتها الدهشة من حالة عدم النضج، العقلي التي أصابت "سوير هايس". ومن بعض النواحي كان يشبهها أكثر مما كانت تتصوره في البداية. لكنها في نفس الوقت لم تستطع أن تقلل من أهمية رأي "ليونارد": لأن العمل كان بالنسبة لها أساس كل شيء. ولكن وبحذر شديد رأت ألا تصر على موضوع يبدو حساسا وسألته:

– ولماذا يعارض عمك بهذه الشدة فكرة المزرعة؟ فبالإضافة إلى السعادة التي تعود على الأطفال يمكن أن تكون دعاية جيدة بالنسبة للشركة.

– العم "لين" يرى أن إدارة المزرعة تكلف الشركة أموالا أكثر مما تعود عليها بالفعل، ومع ذلك، لقد كان واضحا تماما، بأنه لو كان هو المدير لكان أول شيء يفعله هو ببساطة إغلاقها.

– أتمزح؟

– كلا. لقد كرر ذلك عدة مرات. وهذه هي أهم نقاط خلافنا وهي السبب الذي جعلني أراقب أعمال الشركة بدقة لا يتوقعها هو.

تمتمت "بيب":

– فهمت، أعتقد أنه من الأفضل لي العودة إلى المنزل أليس كذلك؟

رد "سوير":

– كما تشائين.

تنهدت الفتاة وقالت:

– لست أدري ولكنني أظن أنني قد تسببت لك في ألم نفسي.

صاح "سوير" قائلا وهو يبتسم:

– أرجو أن يكون هذا الكلام غير صحيح! فليس لدي أي شعور بالإحباط، بل على العكس تماما. والآن دعيني أصطحبك إلى منزلك.

– هيا بنا.

مر يومان لم يظهر خلالهما "سوير"، كانت "بيب" على حافة الجنون،

www.elromancia.com

كانت قلقة ومضطربة ولا تستطيع التركيز، وعندما آوت إلى سريرها تحاول النوم؛ لتتخلص أخيرا من التفكير فيه لم تتمكن من إغماض جفنيها بل صارت تتقلب باستمرار على سريرها، وأثناء تلك المحاولات اليائسة بغية النوم سمعت فجأة صوت فرقعة على نافذتها، ثم تلاه صوت ثان جعلها تقفز من سريرها لتقترب من تلك النافذة. لم تكن "بيب" جبانة ولكن الذي رأته جعلها تتجمد خوفا من هول ما رأت، فقد كان هناك رجل يجلس على فرع كبير من فروع الشجرة المقابلة لنافذتها. فتحت لتتأكد من شخصيته التي كان يبدو أنها تعرفها. ثم صاحت قائلة:

– "سوير"! ماذا تفعل معلقا على هذه الشجرة ليلا؟

– كنت أفتقدك.

– وماذا تريد؟

– أن تلبسي ثيابك لتأتي معي، ولا تناقشيني فإنها مفاجأة.

– لكن الوقت متأخر جدا.

– وماذا في ذلك؟ ألم تحاولي الهرب أبدا من بيتك قبل هذا؟

– كلا لم يكن لدي أي دافع لفعل ذلك.

– الآن لديك واحد. ما عليك إلا أن تتركي كلمة لـ"نان" لكي لا تقلق بشأنك، فسوف نعود بدون شك بأسرع مما تتوقعين.

ارتدت الفتاة ثيابها بسرعة ثم توجهت إلى النافذة التي كان "هايس" ينتظرها أمامها.

قال لها:

– هيا، تعالي.

اعترضت الفتاة قائلة:

– لكنني لا أحسن تسلق الأشجار فكيف بالنزول من عليها.

– إذن، لن تجدي وقتا أفضل من هذا لتتعلمي ذلك.

– وأين تريد أن تأخذني؟

– إلى المدينة.

– ولكننا بعد منتصف الليل وكل شيء مغلق.

ابتسم بغرابة ثم قال:

– أعرف ذلك. وهذا أفضل.

الفصل السابع

كانت "بيب" تجلس على دكة محطة الأوتوبيس بينما كان "سوير" يضبط لها حذاء تزحلقها، قامت هي بضبط واقي الركبتين، وكانت تتلفت حولها من حين لآخر؛ لترى إن كان هناك أحد قادم. ولكن عدا بعض سائقي التاكسي الذين كانوا يجوبون الشوارع كان مركز المدينة خاليا تماما.

قالت متسائلة بقلق:

– هل أنت متأكد من أن كل هذا قانوني؟

رد "سوير":

– لم تحدث لي قط أية مشاكل حتى الآن.

– هل قمت بهذا من قبل؟

رد وهو يرتدي قبعته الواقية:

– بالطبع.

– لست أدري ما السبب الذي يجعلني لا أصدقك؟

ضحك وهو يمسك يدها ليتزحلقا معا في صمت على الأسفلت. ثم زاد "سوير" من سرعته فشعر أن الفتاة تتشبث به يائسة، وتجولا لمدة طويلة جدا عبر الشوارع الخالية. استسلمت "بيب" شيئا فشيئا للسرعة وكانت تنظر حولها بمرح. المنشآت التي كانت تراها في ضوء النهار تختلف تماما في مظهرها ليلا، كانت تبدو كأنها عواميد فولاذية مظلمة ومخيفة، وبدون تحذير قام "سوير" بزيادة سرعته ثم ترك يد الفتاة التي بدأت تصرخ محاولة ألا تفقد توازنها بأي طريقة، ولكن القدر الذي كان يحفظها تمثل في عمود إنارة تشبثت به بكل قواها. اقترب "سوير" منها وهو يضحك

www.elromancia.com

ولكنه سارع ليتوقف في الحال بعدما رأى مزيجا من الخوف والغضب يرتسم على وجه الفتاة.

– هل أنت بخير؟

ردت وهي تنظر إليه بغضب طفولي:

– سوف أنتقم منك.

ابتسم "هايس" ثانية ثم بدأ من جديد في التزحلق وتبعته الفتاة. لم يكن يسرع هذه المرة ولكنه لاحظ أن "بيب" قد نسيت خوفها في خضم غضبها وبدأت تتقن تلقائيا التزحلق شيئا فشيئا. ثم قام بفك حزامه تساءلت في حيرة:

– ماذا تفعل؟

رد وهو يطوق صدره بالحزام:

– لجاما، ما عليك إلا الإمساك بطرفه الآخر، واتركي نفسك تسحبين بواسطة حصانك الوفي.

انطلق وهو يحاول أن يسير بسرعة منتظمة، وكانت الفتاة تتشبث خلفه. ثم بدآ ينزلان في شارع منحدر كان "سوبر" يسير فيه بطريقة متعرجة مصدرا صوتا غريبا يشبه صوت الطائرة وكلما كانت "بيب" تستمتع بالسرعة والهواء وتضحك من الإثارة كلما زاد الشاب من السرعة.

وفجأة، توقف "سوبر"، واستند إلى حائط قريب، ولم تستطع الفتاة إلا أن تلقي بنفسها عليه حتى تتفادى السقوط.

سألها بهدوء:

– هل أنت بخير؟

– عدا قدمي اللتين لا أشعر بهما. كل شيء على ما يرام، ولكن لماذا تهمس هكذا؟

وبدون أن يرد، اتجه "سوبر" لينظر خلف الحائط ثم عاد ثانية. قال في لهجة آمرة:

– اذهبي لتختبئي هناك خلف هذا السور، سوف آتي لآخذك بعد قليل.

– لكن لماذا؟

– الشرطة.

هزت رأسها وهي تبتسم ثم قالت:

– كلا، كلا، لن تنال مني هذه المرة أيضا، فأنا لست غبية لهذه الدرجة.

رد بقلق:

– هذه المرة أنا جاد جدا.

– لكن...

– هيا أسرعي! اختبئي!

اعتراها خوف مفاجئ جعلها تطيع أمر الشاب وذهبت لتختفي في ركن مظلم على بعد مائة متر تقريبا من المكان. كانت تتخيل نفسها في قسم الشرطة أثناء استجوابها ثم حبسها! ولتخفف من حدة خوفها كانت تطمئن نفسها بأن "سوبر" سوف يأتي بعد قليل لياخذها أو أن هذه إحدى ألاعيبه الغبية. ولكنه لم يعد، فقامت بإخراج رأسها من مخبئها.

قالت وهي تحدث نفسها: "لابد أنه مجنون".

كان "سوبر" يصفر بصوت مرتفع وهو يتزحلق حول سيارة شرطة الدورية.

اختفت "بيب" خلف السور المظلم من جديد وانتظرت طويلا لتطل من جديد وتفاجا بأنه اختفى مع سيارة الشرطة. تجمد الدم في عروقها.

هزت "بيب" رأسها لتتاكد أنها لا تحلم، لكن الأمر بقي على ما هو عليه، لم يكن أحد موجودا، وكان الشارع خاليا تماما.

استندت بظهرها إلى الحائط وتركت نفسها تنزلق إلى أسفل. كانت تفكر في حل لهذه المشكلة. ألقت نظرة إلى ساعتها التي كانت تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل.

تساءلت في نفسها: "يا إلهي! ماذا يمكنني أن أفعل؟".

لم يكن لديها أية وسيلة مواصلات، ولا نقود! لتستخدم الهاتف ثم تذكرت، أنها نسيت أن تترك كلمة لـ"نان".

www.elromancia.com

قالت في نفسها وهي مهمومة: "إنها سوف تغضب مني كثيرا إن لم تجدني".

هزها صوت غريب. وكانت "بيب" تعلم أن هذا الشارع الآمن جدا بالنهار لم يكن كذلك بالليل، وأدركت فجأة مدى ضعفها، ومما زاد في خوفها هو رؤية سيارة تقترب منها ببطء. توقفت السيارة على بعد أمتار منها، أسرعت "بيب" بالاحتماء خلف السور وهي ترتعد من الرعب.

– هيه، أيتها الفتاة! أتريدين صديقا في هذه الليلة؟ هذا الصوت!

صاحت بكل قوتها وهي تخرج من ركنها المظلم:

– "سوبر"! أستطيع أن أقتلك فورا!

سألها وهو يخرج من السيارة:

– لماذا؟ لقد كنت أظن أن...

– وأنا اعتقدت أنه تم القبض عليك وتركتني.

– لن أتركك أبدا في مثل هذا الوضع، ثم إنني لم يقبض علي لماذا تتخيلين مثل هذه الأشياء؟

ردت بصوت حاد:

– بسبب الشرطة أيها الأحمق.

قال لها بهدوء:

– اهدئي يا "بيب" لم نكن نفعل شيئا خارجا عن القانون، لقد كانوا يتأكدون فقط من أنني لست ثملا.

– ثملا؟ ولماذا؟

– لأنني كنت أغني حول سيارتهم.

– ولماذا كنت تفعل ذلك؟ ولماذا أمرتني إذن بالاختباء إن لم نكن نفعل شيئا خارجا عن القانون؟ لقد أفزعتني حقا...

قال "سوبر" وهو يأخذها بين ذراعيه بحنان:

– لقد كنت أظن أن هذا سوف يسبب لك إحراجا، أعتذر إن كنت قد سببت لك الخوف، كنت أود فقط أن أكون لطيفا.

قالت وهي تغير من لهجتها:

– في هذه الحالة، لا شيء عليك، لابد أنني قابلة جدا للإقناع. يمكن لأي شخص أن يخدعني.

– هل تريدين مواصلة التزحلق؟

رفعت عينيها إلى السماء.

– أهذا معناه لا؟

– استنتاج رائع. هيا بنا نعود إلى المنزل.

انحنى ليفتح لها الباب وقال:

– تفضلي بالركوب.

سارت السيارة بصمت حتى خرجا من حي الأعمال، وبعد فترة نظرت "بيب" إليه مبتسمة وقالت:

– لقد استمتعت بهذا أليس كذلك؟ حتى بالموقف مع الشرطة؟

اعترف وهو يبتسم:

– نعم، أحب أن أتصرف بحماقة، ولكنك أنت أيضا قد استمتعت بشعورك بالخوف...

قالت وهي تبتلع ريقها:

– كان ذلك... مضحكا جدا مثيرا أيضا.

– كنت أعلم ذلك. على أي حال، لديك مزاج المغامرين، عرفت ذلك منذ البداية.

– أنا؟ لا أعتقد ذلك.

رد "سوبر" بلهجة مريبة:

– سوف نرى.

عندما وصلا أمام منزل "بيب" كان الليل مايزال طويلا، دخلا مثل اللصوص إلى البيت ومشيا في الظلام.

همست "بيب" وهي تقبل "سوبر":

– إنني منهكة تماما.

www.elromancia.com

– أنا أيضا. أتعتقدين أنه بإمكاني البقاء للمبيت هنا الليلة؟

– طبعا. ما عليك إلا أن تذهب إلى غرفة الأصدقاء، أظن أنك تعرف الطريق جيدا.

رد "سوبر" قائلا:

– نعم.

قام بتوصيل الفتاة إلى باب غرفتها وقبلها قبل أن يتمنى لها ليلة سعيدة، ثم ابتعد متجها إلى غرفته.

دخلت "بيب" إلى غرفتها وفكرت مليا ثم تمددت على سريرها لتنام على الفور من شدة التعب.

أحست بشخص يهزها بشدة، فتحت عينيها.

– "بيب"! "بيب"! لقد وجدتها! وجدت فكرة رائعة لقضاء ليلة ممتعة!

ردت متلعثمة:

– ماذا؟ "سوبر" ماذا أصابك؟

قال "سوبر" مؤكدا:

– استيقظي يجب أن نرحل فورا! هيا أحضري حقيبتك بسرعة. ضعي فيها لباسي بحر، وبعض الملابس الخفيفة وفستان مساء مثيرا بعض الشيء أظن أن هذا يكفي.

قالت وهي تنهض بصعوبة بالغة:

– الآن؟ ولكن أين؟ ليس عندي فستان مثير.

– لا توجد مشكلة سوف نشتري لك واحدا عندما نصل إلى المطار.

سالته بقلق وهي تفرغ محتويات أدراجها في الحقيبة:

– ولكن إلى أين نذهب؟

– سؤال غريب! إلى "أكابولكو" طبعا! إلى أين يذهب العشاق الشباب في ظنك؟

– إلى "أكابولكو"؟ هيه! انتظرني! هل أنت مجنون؟

خرج "سوبر" من الغرفة. تبعته وهي تنزل على السلم مسرعة.

رد "سوبر" وهو يمتطي السيارة:

– نعم. يجب أن نسرع؛ لأن الطائرة النفاثة في انتظارنا في المطار.

– هل قمت باستئجار طائرة نفاثة.

ركبت في السيارة وأغلقت الباب بعنف. سألها "سوبر" مستغربا:

– من أين تأتي لك هذه الأفكار الغريبة في هذا الصباح الباكر؟ إنها ملك لي، أو على وجه الدقة استعرتها من الشركة.

انطلقت السيارة بسرعة.

صاحت "بيب" وهي تهتز من تدافع الأحداث:

– وأظن أنك أنت الذي تقودها بالطبع.

– طبعا. أتودين الاطلاع على رخصتي؟

كانت الفتاة تنظر إلى "سوبر" بذهول، لم تكن تعلم ماذا تفعل أمام الجانب غير المتوقع لهذا الرجل، كانت من جديد في قلب دوامة العواطف التي لم تتمكن من السيطرة عليها. وصمتت حتى وصلا إلى مطار خاص صغير، كانت تنتظرهما فيه طائرة نفاثة سرعان ما دخلا فيها.

قال "سوبر" للفتاة موضحا:

– بالمناسبة، ستقومين بدور مساعد الطيار!

صاحت "بيب" قائلة:

– ماذا؟ إنك تمزح بدون شك! لم يسبق لي أن...

– أعرف ذلك ولكنني سوف أعلمك. لا تقلقي.

– "سوبر"، هل أنت واثق دائما من كل تصرفاتك؟

– بالتأكيد. ثقي بي، إنك تحت رعايتي.

كانت مندهشة مما يحدث وتركت "سوبر" يسرع بربط حزام أمانها. ثم قبلها على أنفها وأقلعت الطائرة. وبعد لحظات من الإقلاع نظرت "بيب" إليه وقالت:

– بالمناسبة ماذا أردت بكلمة ليلة ممتعة؟

رد وهو ينظر إليها نظرة مثيرة:

www.elromancia.com

– أول ليلة غرامية بالنسبة لك في "أكابولكو".

احمر وجه "بيب" ولكنها لم تعلق.

كان "سوير" لا يكف عن الحديث منذ أن أقلعت الطائرة، كانت فكرة قضاء عدة أيام معها بعيدا عن كل شيء تثيره جدا، كان يتصرف بجنون وكانت أفكاره تتدافع في رأسه.

كان قد اختار مكانا منعزلا رومانسيا حتى يتسنى لهما الاستمتاع بوقتهما معا، كان بيتا صغيرا من طابق واحد يطل على شاطئ البحر مباشرة، تحيط به حديقة صغيرة تحتوي على حمام للسباحة. وفي المساء كانا على موعد مع عشاء على ضوء الشموع في الفندق، وهنا لاحظ أن "بيب" تضع يدها على جبينها وكان وجهها شاحبا جدا.

صاح قائلا:

– "بيب"! ماذا بك؟

– رأسي يؤلمني.

– أرجو ألا تكوني جادة.

– إن هذا الصداع أمر لا يدعو للهزل. كم أود ألا أتألم أبدا كما أتألم الآن. هل تستطيع أن تجد لي أسبرين؟

– طبعا ولكن دعيني أرى ذلك أولا.

وضع يده على جبين الفتاة ثم صاح قائلا وهو يبحث كالمجنون بين الأدوية الكثيرة التي كانت حقيبته تزخر بها.

– يا إلهي! إنك مصابة بالحمى!

الفصل الثامن

قالت "بيب" بصوت مختنق:

– إنك تمزح يا دكتور! لا يمكن أن أكون مصابة بداء "الحميراء".

رد الطبيب قائلا:

– أنا جد آسف، "سنيورا"، ولكنك مصابة فعلا بـ"الحميراء". لا داعي للقلق فمع بعض الأدوية المفيدة، لن يدوم الأمر أكثر من يومين أو ثلاثة، وبعد ذلك يمكنك أن تعودي للاستمتاع بشهر العسل.

اعترضت الفتاة قائلة:

– لكنه ليس شهر...

قاطعها "سوير" بسرعة قائلا:

– موتشاس جراسياس!

واصطحب الطبيب خارج الغرفة. ثم قال هذا الأخير لـ"سوير":

– لابد من الراحة التامة يا سيد "هايس"، يجب أن تتجنب المجهودات البدنية الشديدة. اجعلها تشرب كميات كبيرة من الماء دون أن تنسى إعطاءها الأدوية أربع مرات يوميا. ثم قال الطبيب بصوت يملؤه الحرج:

– هل من الممكن أن تكون السيدة حاملا؟

رد "سوير" وهو يدافع ابتسامته:

– مستحيل.

قال الطبيب وهو يتجه نحو باب الخروج:

– بوينو، بوينو؛ لأن هذا النوع من الأمراض خطير جدا على صحة الأم الحامل وخاصة على الجنين، أتدرك ما أعني؟ اعتن بها جيدا! أديوس سنيور.

أغلق "سوير" الباب ثم اتجه إلى غرفة "بيب" التي كانت مستلقية ووجهها شاحب، كانت علامات الضعف تظهر عليها بوضوح وقلبها يخفق ببطء.

تمنى أن يكون مكانها وأن تنتقل إليه آلامها بدلا من أن يراها في هذه الحالة. كان يشعر بعجزه وقلة حيلته.

قالت "بيب" بصوت ضعيف:

– "سوير"، إنني آسفة. آسفة جدا...

www.elromancia.com

أحس "هايس" أن قلبه يتحطم مثل الزجاج، إلى ألف قطعة صغيرة، أمسك يدها بحنان واقترب منها، وقال مطمئنا إياها:

– حبي، لا داعي للأسف، بالتأكيد إن ما أصابك كان بسبب "سكوتر" أي بسببي أنا. إنني أشعر بأني مسؤول عن إفساد إجازتك... إجازتنا.

ردت الفتاة بلطف:

– إنك أبله، لم تكن لتعلم أنني سوف التقط المرض. إنني ألوم نفسي كثيرا على إفساد إجازتك... إجازتنا.

– من قال إنها فسدت؟ سوف تكونين بخير بعد يومين.

ردت "بيب" بصوت حزين:

– لكنك سوف تشعر بالملل خلالهما.

صاح "سوبر" قائلا:

– أشعر بالملل؟ إنك تمزحين بالتأكيد! مع كل الألعاب التي اخترعتها عندما كنت طفلا صغيرا سوف نجد ما يجعلنا لا نحس بمرور الوقت، إلا إذا كنت تودين أن تلحق بنا "نان"، أستطيع الذهاب لإحضارها.

– كلا، أرجوك، فبالإضافة إلى أنها تكره ركوب الطائرة، أود أن نكون وحدنا.

قال "سوبر" وهو يبتسم:

– لم تكوني لتسعديني أكثر من هذا. عليك الآن أن تستريحي سوف أذهب لتجهيز عشاء فاخر وسأقدمه لك بنفسي.

خرج من الغرفة ليجري مكالمة مع سكرتيرته في "هيوستن".

سألته "جلوريا":

– ولكن ماذا تفعل في "أكابولكو"؟

– حاليا ألعب دور الطبيب.

– معذرة؟

– إنني لا أمزح. لا أريد أن يعلم "ليونارد" بالأمر. ولا أي شخص آخر أيضا.

– ووالدتك؟ لقد اتصلت بك مرتين اليوم.

– قولي لهم جميعا: إنني في "أوروبا؛ لأتم بعض الأعمال، ولن أعود إلا بعد أسبوع.

– لكن أين في "أوروبا"؟

– في أي مكان، لكن لا تذكري أنني موجود في "المكسيك". وقومي بتأجيل اجتماع مجلس الإدارة إلى الأسبوع القادم. وإذا ما سألك "ليونارد" لماذا؟ فعليك أن تخبريه أنها تعليماتي.

كررت "جلوريا":

– الأسبوع القادم، لا توجد مشكلة، سوف أنقل أوامرك.

قال "سوبر" لـ"بيب" آمرا إياها:

– افتحي فمك!

ردت "بيب" محتجة:

– إنني أستطيع أن آكل بنفسي.

ولكن "سوبر" تجاهل احتجاجها وواصل حديثه بصوت مرتفع وهو يقرب ملعقة الحساء من فم "بيب":

– وهذه هي السيارة الطائرة، هيا افتحي باب الكهف!

– سيارة طائرة؟ باب الكهف؟

– إن هذه الأمور دائما ما كانت تأتي بنتيجة إيجابية معي عندما كنت طفلا.

– لكن لماذا علي أن أتناول حساء الدجاج في الوقت الذي تعج فيه عربة الطعام بالمأكولات الشهية مثل الكركند وعيدان الهليون. وهذا ما أشتهيه حقا.

– فلنر في البداية إن كنت تستطيعين تناول الحساء ثم بعد ذلك ننتقل إلى الأطعمة ذات القوام الأكثر كثافة، بالإضافة إلى أنه مناسب لمرضك.

انتزعت "بيب" طبق الحساء من بين يدي الشاب وسألته:

– ولماذا لا تجرب أن تتناوله أنت؟

www.elromancia.com

رد "سوبر" قائلا:

– لأنني تلت كفايتي منه عندما كنت طفلا، وإنني أكرهه الآن. هل أنت بخير؟

ردت بعد أن تناولت حساءها ومدت يدها لتناوله الطبق:

– على أحسن ما يرام. والآن هل لي في بعض الكركند؟

رد مقترحا:

– طبعا، سوف أقوم بإحضار قطعة منه.

– "سوبر"! أستطيع وأحب أن أفعل ذلك بنفسي!

نظر إليها بحزن.

– ألا تريدين أن أقدمه لك بنفسي؟

قالت وهي تحدث نفسها: "أيتها الحمقاء، إنه لطيف معك وبالرغم من ذلك لا تجدين سوى تانيبه". نظرت "بيب" حولها، كانت الغرفة تعج بعلب الألعاب الاجتماعية المحاطة بباقات من الزهور الفاخرة. كان "سوبر" قد جعل سكرتيرته ترسل إليه جهاز عرض فيديو والكثير من الشرائط معه.

قالت "بيب" في النهاية:

– إنني آسفة، كنت أفضل أن أتناول عشائي بنفسي معك بدلا من أن تقوم أنت بإطعامي. إنني لست مريضة لهذه الدرجة.

نظر إليها "سوبر" بغرابة ثم قال:

– حسن، ربما أنني تجاوزت بعض الشيء، لم لا تحاولين إطعامي حتى نغير بعض الشيء؟

انفجرا ضاحكين ثم جلسا لاستكمال عشائهما بهدوء على ضوء الشموع. وبعد أن تناولا طبق الحلو قال لها متسائلا:

– هل تريدين اللعب أم مشاهدة فيلم ما؟

– أظن أن مشاهدة الفيلم ستكون أفضل. ماذا تقترح علي؟

– أتصدقين أنني عثرت على فيلم "لنغني تحت المطر" ما رأيك؟

– جيدا! هل تتصور أنني لم أشاهده مطلقا؟

رد على "بيب" وهو يضع شريط الفيديو داخل الجهاز قبل أن يعود ليستلقي بجانب الفتاة:

– هذا خطأ من السهل إصلاحه. سوف تستمتعين به كثيرا... بعد لحظات صاح قائلا:

– لا أصدق ذلك! إنه ناطق بالإسبانية.

ردت المرأة وهي تضحك:

– طبعا، ماذا كنت تظن إننا في "المكسيك".

قال وهو يبتسم بمرح:

– حسناً... لا توجد مشكلة إذن لأني أحفظه عن ظهر قلب وأنت تتقنين الإسبانية فسوف تترجمين لي إذا وجد شيء لا أفهمه.

أحست "بيب" أثناء نومها بشيء يجثم على صدرها وأرجلها ويمنعها من الحركة، أحست بالرعب وفتحت عينيها، وبدأت تصرخ وتحاول أن تتخلص من هذا الحمل المثقل.

فزع "سوبر" وجثا على ركبتيه فوق السرير ثم قام بإنارة الغرفة وقال متلعثما وهو يفحصها بقلق:

– ماذا هناك؟ هل تشعرين بشيء؟ هل تتألمين؟

اكتشفت الفتاة أنه لم يكن سوى "سوبر" الذي كان نائما فوقها دون أن يشعر وهو ما كان يخيفها وسرعان مازال خوفها ونظرت إليه باستغراب:

– لقد أفزعتني. ماذا تفعل هنا في سريري؟

قال معترضا:

– كنت نائما، هل تريدين دواءك؟

– كلا شكرا. ولكني كنت أظن أن هناك غرفة ثانية.

– نعم توجد غرفة ثانية ولكنني فضلت البقاء بجانبك لعلك تحتاجين شيئا ما.

– لكن...

قال وهو يقوم ليتجه إلى الجانب الآخر من السرير:

www.elromancia.com

– لا توجد لكن، سابقى هنا ولا داعي أن تمثلي دور الخجول. فبعد يومين لن يكون هناك مجال للخجل بيننا.

رفعت "بيب" الغطاء على وجهها حتى لا يلاحظ احمرار وجهها. ولكن "سوير" لم ينظر إليها، بل اكتفى بإصلاح الأغطية ثم إطفاء الأنوار ليستلقي بجانبها من جديد.

– "سوير"، ألا تشعر بالبرد ؟.

– لا.

– لماذا لا تدخل تحت الأغطية معي؟

– لم يحن وقت ذلك بعد.

ساد صمت طويل لم يكن يسمع سوى صوت الأمواج المنكسرة على الشاطئ كان أريج الأزهار الاستوائية يملأ المكان كان الجو مثيرا بعض الشيء.

– "سوير"؟

– هممم؟

– أتعلم أنني لم أقابل في حياتي رجلا مثلك؟

رد "سوير":

– شعور متبادل.

– حقا؟

– نعم.

– "سوير"؟

– هممم؟

– أعتقد أنني قلقة بعض الشيء بخصوص... تعلم ما أعني.

– لا تقلقي، إنها مجرد أوهام تدعى "مرض الخطيبة".

– لكنني لست مخطوبة.

رد بصوت محشرج:

– يمكننا علاج ذلك بسرعة.

– "سوير" أرجوك لا تغظني، فأنا قلقة بما فيه الكفاية وأخاف أن أخذلك.

– لا مجال للخوف، ثقي بي. والآن حاولي أن تعودي إلى النوم لكي تستعيدي قواك بسرعة، سوف تحتاجين ذلك. بمجرد أن أحس أن "بيب" قد نامت نهض "سوير" ليأخذ حماما باردا، وفعل نفس الشيء عندما استيقظ في الصباح ولكنه كان يعلم أن الحمامات الباردة لن تهدئ من إثارته البالغة كان يريد أن يذهب لأبعد من هذا، كان يرغب في أن يجعلها تشاركه في كل شيء، في حياته نفسها.

كان يشعر بالاضطراب بل بالألم بمجرد تفكيرها بأنه كان يمزح عندما تحدث معها عن الزواج، كانت "بيب" في الواقع تشك في هذا الأمر، مع أنه لم يكن أكثر جدية من ذلك الوقت. وكان يبحث عن طريقة يطلب بها يدها تكون ذات طابع خاص، ولكن الأفكار التي استعرضها لم تكن لترضيه. واستمر في التفكير وهو يدفع أمامه عربة الطعام التي كانت تحمل الإفطار.

– فيم تفكر بهذه الطريقة العميقة؟

رد قائلا:

– فيك. لا أفعل شيئا سوى التفكير فيك، أنت وهذه الشرائح الطرية من اللحم البقري المشوي التي تنتظرنا، كم شريحة تريدين.

وبعد يومين، عاد الدكتور "مارتينيز" وقرر شفاء الفتاة وصرح لها بالعودة لنشاطها الطبيعي. ولكن "سوير" رفض أن تتعرض لأشعة الشمس، مخافة أن تنتكس صحتها ولكي يتفادى أن تذهب إلى الشاطئ قام باصطحابها بواسطة السيارة في جولة إلى قلب مدينة "أكابولكو"، ولكن الجولة السياحية سرعان ما انقلبت إلى رحلة تسوقية في المحلات الفخمة والمراكز التجارية المتكاملة. كانت "بيب" تشعر أنها تعامل معاملة الأطفال لم تشعر قط بمثل هذا الاهتمام والدلال. اجتهد "سوير" ليجد فستانا مثيرا للفتاة، كانت تود لو استطاعت أن ترفض كل هذه الهدايا ولكن نظرة

www.elromancia.com

"سوير" لها جعلتها تتراجع عن الرفض، وعندما رأت أن "سوير" على استعداد أن يشتري لها كل المحل وجدت وسيلة ما لتجعله يكتفي بشراء فستانين فقط. ولكنه مع ذلك استطاع أن يقنعها بشراء بعض المجوهرات وحذاء للسهرة. عندما عادا إلى البيت، ارتمت "بيب" على الأريكة بعد أن تخلصت من حملها ومن حذائها الرياضي، وكان "سوير" قد حضّر عصيرا من الفواكه وقدمه لها وهو يسألها:

– مرهقة؟

– بل قل ميتة من التعب.

– أظن أنه يجب عليك أن تنامي قليلا وعندما تستيقظين سوف أكون قد حضرت لك حماما جيدا مليئا بالرغوة وبعدها نستعد للسهرة.

– أية سهرة؟ هل سنذهب إلى مكان ما؟

رد بلهجة فيها غرابة:

– إنها مفاجأة صغيرة، ولكنني أعدك بأنها سوف تكون رومانسية جدا. أود أن أطلب منك معروفا صغيرا.

– ما هو؟

– إنني أعرف أنك تفضلين ربط شعرك لكنني أحب أن تطلقيه حرا هذا المساء، من أجلي.

ردت وهي مفاجأة بعض الشيء:

– حسن، سوف أفعل ذلك.

– شكرا، أما الآن فأرجو أن تذهبي للراحة سوف أذهب لقضاء بعض حوائجي الشخصية بينما ترتاحين.

حاول "سوير" ربط رباط عنقه بعصبية، كانت تلك هي المرة الثالثة التي يحاول فيها ذلك ولكن دون جدوى، كان قلقا كأنه عريس جديد، أو كأنه مراهق ذاهب إلى موعده الغرامي الأول، وكان يفكر في هذا المساء وكأنه ليلة زفافه؛ لأنه كان يعلم أن الأمور سوف تختلف بعده. وكان قد قرر أنه إذا لم يتحدثا عن الزواج في هذا اليوم فلن يعود إلى "هيوستن" قبل أن

يطلب يدها بالفعل. مع أمل خفي في أن تقبل أن يتزوجا هنا بالذات.

مسح حذاءه سريعا ونظر إلى نفسه في المرآة مرة أخرى وقال لنفسه وهو يبتسم: "ربما لست بالنسبة لها أجمل رجل ولكنها بالتأكيد لن تجد من يحبها أكثر مني في هذا الكون كله".

أخذ شهيقا طويلا قبل أن يخرج من الغرفة ليتجه إلى الصالون لينتظر الفتاة. مر ربع ساعة من الانتظار كان بالنسبة له كأنه ساعات طويلة وأخيرا فتحت "بيب" باب غرفتها ووقفت في حلق الباب، توقفت الأرض عن الدوران، والأمواج عن الارتطام بالشاطئ بل توقف الكون كله عن الحركة.

كانت رائعة الجمال. كان شعرها حرا طليقا، وكانت ثناياه تتدلى لتصل إلى أكتافها العارية، وفستانها الأسود الضيق يبرز تفاصيل جسدها، كانت تشبه بحق نجمات السينما، بل كانت أفضل منهن لأنها أمامه، ومعه، وله. لم تستطع أن تفسر نظرة "سوير" لها، قامت بتفحص نفسها من أعلى إلى أسفل قبل أن تنظر للشاب وتقول له في قلق:

– هل هناك شيء خطأ؟

– استديري لو سمحت.

استجابت ولفت حول نفسها دورة كاملة كان هو خلالها يلتهمها بنظراته.

قال متلعثما:

– كلا، على العكس أنت رائعة، خلابة، جذابة... إن الكلمات لا تسعفني للتعبير عما أراه.

ابتسمت الفتاة ووضعت يدها على شعرها لتصلح من وضع زهرة الأوركيد التي توجت بها رأسها.

ردت وعلامات الارتياح في صوتها:

– أجد أنك أنيق أنت أيضا، إن هذه البذلة جميلة جدا، بالمناسبة شكرا على الأوركيد إنها رائعة.

ابتسم قائلا:

www.elromancia.com

– إني أرى ذلك. ولكن الحق يقال إنها ليست في جمال نظرتك بل إنها تبدو شاحبة أمام جمال عينيك.

احمر وجه "بيب" من الخجل ثم اقتربت وطبعت قبلة على شفتي الشاب، فامسك بيدها وتوجها إلى باب الخروج. كانت سيارة ليموزين بيضاء تنتظرهما عند الباب، ذهلت "بيب" والتفتت إلى "سوبر" وهي مبهورة ثم قالت له هامسة في أذنه:

– شكرا لكل هذا أحس وكأنني "سندريلا".

– ربما، ولكن مع مراعاة فروق جوهرية مع تلك القصة، فأنا لست الأمير الجميل وليس عندك حذاء زجاجي، وبالأخص، سوف أكون بجانبك في منتصف الليل والواحدة صباحا والثانية صباحا والثالثة صباحا....

قاطعته قائلة وهي تجذبه ناحية الليموزين:

– هيا بنا.

جلسا في خلوة منعزلة عن باقي القاعة، كانت الأبواب المفتوحة تسمح بمرور نسمة بحرية رقيقة ودافئة لتصل إليهما، وكان لهب الشموع يتراقص تحت تأثير الهواء. وفجأة ظهر أمامهما نادل قدم لهما كأسين من الشراب.

– "سوبر"، إن هذا المكان ساحر ورومانسي جدا كيف اكتشفت هذا المطعم؟ سرعان ما أصبحت صديقا لبواب الفندق الذي أرشدني بدوره إلى هذا المكان الذي يعتبر الأكثر رومانسية في كل الشاطئ. اقترب عازف جيتار من طاولتهما ليعزف لهما موسيقى غرامية، كانا يستمعان له وأيديهما متشابكة، وعندما انتهى العزف، انحنى "سوبر" ناحية الفتاة وقال لها:

– هل ترغبين في الرقص؟ أظن أنه توجد قاعة أخرى بها فرقة موسيقية رائعة على حسب مصدر معلوماتي.

سألته وأساريرها تنفرج فرحا.

– حقا؟ لقد كنت أرغب فعلا في أن أرى إن كنت مازلت أتذكر كل الرقصات التي علمتني إياها، سيكون الأمر أكثر إثارة مع فرقة موسيقية

حقيقية.

قال "سوبر" وهو يغني دافعا باب الحديقة لتمر الفتاة من خلاله:

– وان، تو، تشا تشا تشا.

قام بعمل حركة تحية مضحكة لها، كان يبدو أنه ثمل رشفت "بيب" رشفة من كأسها قبل أن تنفجر ضاحكة.

قال الشاب وهو يضرب كتفه بكتف الفتاة:

– إننا زوج من الراقصين المرحين، لقد فات أوانكم يا "فريد" و"جينجر"، والآن جاء دور "بيب" و"سوبر"!

– من "فريد" و"جينجر" هذان؟

قال "سوبر" بصوت تملؤه الدهشة:

– هل تمزحين؟ ألا تعرفين "فريد أستير" ولا "جينجر روجرز"؟ ولكن كيف لا يمكنك معرفتهما؟ مع أن كل الناس يعرفونهما لقد تعلمت الرقص بمجرد متابعة أفلامهما!

– ولكن كيف أمكنك تعلم الرقص بمجرد مشاهدة التليفزيون؟ ألم تكن ممنوعا من مغادرة السرير؟

– في رأسي، يا حبيبتي "بيب"، في رأسي! بالضبط.

تساءلت "بيب" في حيرة:

– لماذا؟

– لا شيء لا شيء! هل ترغبين في كأس من الشراب؟

قالت الفتاة في إلحاح:

– لماذا تغير الموضوع؟ إنك تبدو قلقا فجأة.

ضحك بشموخ:

– أنا قلق؟

ابتسمت بينما كان يواصل حديثه:

– لماذا أكون قلقا؟ هل تعتقدين أن علي أن أكون قلقا لأنني أول حبيب لك؟ هل تظنين أنني قلق لأنني لم أقابل فتاة مثلك من قبل؟ بل أسوأ من

ذلك لأنني أخاف أن أخذلها؟ فلماذا إذن أقلق؟

همست قائلة:

– لا داعي لذلك، ولست محتاجا للاختفاء وراء عدة كؤوس من الشراب لتعترف لي بذلك أيضا. إنني أثق بك. نظر إليها مليا ثم احتضنها وقال:

– أوه يا "بيب"! كم أحبك.

– حقا؟

– حقا.

أمسكت بوجه "سوير" بين كفيها وقبلته بحنان، ثم عادا إلى المنزل.

عندما استيقظت "بيب" في الصباح كان "سوير" يقف إلى جوارها يتأملها. قالت:

– لقد نمت طويلا؟

– لاحظت ذلك.

– هل نمت أنت أيضا؟

– نعم، لكن النادل أيقظني عندما أحضر طعام الإفطار، إذا كنت ترغبين في ذلك فإن الطعام في الشرفة.

نهضت وارتدت ثيابها ثم صاحت قائلة:

– لقد جاء في موعده، إنني أموت جوعا!

قامت بغرف طبق كبير من السلطة المكسيكية وقطعة من البطيخ ثم جلست على الأريكة. وقالت:

– آه! هذه هي الحياة الحقيقية، للأسف أننا لا نستطيع أن نعيش هكذا طوال السنة. لحق بها وأخذ بعض الطعام من طبقها. وقال متسائلا:

– ولم لا؟

– لا تكن سخيفا. على أي حال يجب علينا أن نعود يوما ما. إن إجازتي ليست أبدية بالإضافة إلى أن ورائي أعمالا مهمة كثيرة تستوجب مني انتباها كبيرا.

قال مقترحا عليها بلهجة خبيثة:

– ولماذا لا تأتين إلى "ميرث"، للعمل في مشروع الحقيقة الوهمية؟ أستطيع أن أكلم المدير، إنني أعرفه.

قفز قلب "بيب":

– هل عملي في "ميرث" مهم بالنسبة لك إلى هذه الدرجة؟

– فقط إن كنت ترغبين في ذلك حقا، يجب أن تفعلي ما تشائين، ما يسعدك أنت. وليس شيئا آخر. هيا بنا نذهب إلى حمام السباحة.

– حسن سألحق بك فورا، سارتدي زي الاستحمام.

كانا يستعدان لأخذ حمام، وفجأة رن جرس التليفون، ليرفع "سوير" السماعة بطريقة تلقائية:

– ألو؟

لاحظت "بيب" أن وجه الشاب يتغير:

– كيف عثرت علي؟

رد "هيربرت بوركالتر":

– لم يكن الأمر بهذه السهولة، كان علي أن أضرب "جلوريا"! لا تفكر في تغييرها أبدا فلن تجد أوفى منها. قال "سوير" في غضب:

– أظن أنك لم تتصل بي لتقول لي هذا الكلام يا "هيربرت"؟

– كلا، إن لدينا بعض المشاكل الكبيرة، وحضورك أمر ضروري جدا.

– إلى هذه الدرجة؟ ماذا هناك؟

وقام "بوركالتر" بشرح الأمور المستجدة لمديره بينما كانت "بيب" تلاحظ أن وجه "سوير" يكسوه تعبير غاضب لم تعهده فيه من قبل.

قال غاضبا:

– ياله من وغد! حسناً يا "هيربرت"، فلنجتمع الليلة في منزلي الساعة الثامنة تماما، سوف تأتي ومعك "جلوريا" و"بترسون" محامي الشركة أيضا.

وضع "سوير" السماعة بعد هذه الكلمات لياخذها من جديد ويقوم بمكالمة ثانية:

www.elromancia.com

– ألو؟ الاستقبال؟ لو سمحت أريد إلغاء كل الترتيبات بالنسبة لهذا المساء، نعم كلها حتى "الماريا كيس". وأرجو منك أيضا أن تتصل بالمطار لتجهزوا طائرتي للإقلاع في خلال ساعة واحدة علم؟

اقتربت "بيب" منه وقالت في قلق:

– ماذا يجري؟

– إنني آسف يجب علينا العودة. بالرغم من أنني كنت قد أعددت سهرة رائعة ولكن مهما يكن... عمي "لين" يوشك أن يطعنني في ظهري؛ ولذلك يجب أن أقوم بحماية نفسي فورا، لقد دعا هذا الوغد إلى اجتماع جمعية المساهمين غدا صباحا متجاهلا تعليماتي وغيابي، بالإضافة إلى وجود أمي في "هيوستن" وهي تقوم بالتقليب في أوراقي الخاصة، إنني أشتم رائحة الغدر.

– إنني لا أفهم شيئا.

– إن الأمر بسيط جدا، فأنا صاحب أكبر نسبة أسهم، طالما كنت أنا الذي أدير حصتها لم تكن هناك مشكلة بالنسبة للأصوات في انتخابات المكتب، ولكن إذا استطاع "ليونارد" أن يقنعها بأن تعطيه حق إدارة أسهمها بدلا مني فإن الأمر سوف يختلف لأنه سيصبح في هذه الحالة صاحب أكبر عدد من الأسهم، وهذا معناه أن عمي سيصبح مدير "ميرث" بحكم ذلك.

– لكن لماذا يفعلون ذلك؟ أليست شركتك أنت؟

– بلى ولكن "ليونارد" سيستغل غيابي في إقناع أمي بعدم كفاءتي.

في إدارة الشركة هل تعتقد أن في إمكان عمك فعل ذلك؟

– لست أدري ولكن شكي يزداد من ناحيته هذه الأيام. أعتذر لك لاننا سنترك هذا المكان، هل أنت غاضبة مني؟

– – كلا مطلقا، بل على العكس! يجب أن نلقن هذا القرصان درسا جيدا بالإضافة إلى أنه سوف يكون في إمكانه إلقاء "سكوتر" ورفاقه في الشارع مباشرة. هيا بنا نرحل!

نظر إليها واجما ثم ابتسم قائلا:

– لقد قلت لك من قبل: إنك ذلك النوع من النساء.

– أي نوع من النساء تقصد؟

– نوعي المفضل.

في صباح اليوم التالي ومثلما كان متوقعا في الاجتماع السري الذي في منزل "سوير"، كان هذا الأخير ومعه "بيب" يجلسان في مكتب الشاب. كان جهاز اتصال داخلي قد وضع سرا في قاعة الاجتماعات المجاورة وكان يسمح للاثنين بمتابعة الحوار بدقة.

كان "سوير" يجلس مستريحا داخل كرسيه الفخم ويضع قدميه على درج مفتوح من أدراج مكتبه. وكانت "بيب" تجلس على أريكة تستمع لكل الأصوات الصادرة من الآلة.

قالت "جلوريا" بصوت خشن هادئ:

– شيء من القهوة يا سيد "هوكر"؟

رد بصوت غليظ به نوع من الحرج:

– لا، آه... كلا شكرا. هل الكل موجود؟

ردت السكرتيرة بصوت تملؤه المرارة:

– الكل موجود ماعدا "سوير" طبعا، هل تذكر؟ مديرنا ابن أخيك.

عطس أحدهم بحرج. وقال "ليونارد هوكر" معلنا:

– إن مديرنا مسافر إلى الخارج لست أدري أين ولا أفهم أيضا سبب سفره هذا، ولكنه فضل الترحال على حضور الاجتماع ربع السنوي لجمعية المساهمين؛ ولذلك سأقوم بالرئاسة أثناء غيابه، "جلوريا" قومي بتوزيع جدول أعمال اليوم من فضلك.

غمز "سوير" لـ"بيب" قائلا:

– إنه يتقن ذلك جيدا.

همست الفتاة وهي تبتسم:

– صه، لا أستطيع أن أسمع ماذا يقولون.

وعاد الرجل العجوز ليقول:

– إن أول نقطة في جدول الأعمال تتعلق بكشف الحساب ربع السنوي للشركة، وكما تلاحظون أن أرباحنا انخفضت بنسبة عشرة بالمائة عن الثلاثة الأشهر الماضية التي كانت قد هبطت فيها الأرباح أيضا نسبة عشرة في المائة، فبماذا تفسرون ذلك يا سيد "بوركالتر"؟

– في الحقيقة يا "لين" عفوا يا سيد "هوكر" إن أبحاثنا في مجال الألعاب الخاصة بالحقيقة الوهمية مكلفة جدا ولكن...

– ومن المسؤول عن هذه المشاريع؟.

– أعتقد أنه "سوير". ولكنه...

قال عم الشاب:

– فهمت. وهل لديك الشعور أنه كان مهتما جدا بهذه المشاريع في الأيام الماضية؟

– لا. ولكن لديه أفكارا مهمة للغاية و...

كرر "هوكر" ببطء:

– أفكار مهمة للغاية. ولكن هل فعل شيئا ما بصدد ذلك؟ شيء يشبع فضولنا على الأقل؟

ساد صمت كان "هيربرت" يتنحنح خلاله:

– إنه يعمل ما عليه، ولكننا نفتقر إلى خبير في نظام المعلومات الخيالية.

انكشفت عينا "بيب" وهي تنظر ناحية "سوير".

قال لها بحرج:

– لا يا عزيزتي ليس الأمر كما تظنين.

– وماذا تظن بأنني أظن يا "سوير"؟

– أنا، أنا... اسمعي سوف أشرح لك هذا كله فيما بعد.

قالت له:

– اسكت، لم أعد أسمع شيئا مما يقولون. وكان "هوكر" يواصل كلامه:

– ومن هنا، و نظرا لتصرفات "سوير هايس" المضطربة والتي أدت بالتالي

إلى انخفاض في أرباحنا أقترح بأن نعزله عن منصبه في إدارة الشركة وهذا من أجل صالح الشركة طبعا.

واحتج "هيربرت بوركالتر" قائلا:

– ومن سيحل محله؟

تلعثم "هوكر" قائلا:

– هيه... بصفتي نائب المدير أظن أنني أفضل شخص يمكنه أن يحل محله مباشرة. سوف نقوم بالتصويت برفع اليد، من مع هذا القرار؟

سادت ضوضاء وأصوات مختلفة. قفز "سوير" من على كرسيه متجها نحو باب قاعة الاجتماعات.

– الآن جاء دورنا.

قال وهو يدخل مع "بيب" إلى قاعة الاجتماعات محدثا صخبا بها:

– صباح الخير لكم جميعا، أعتذر عن التأخير، صباح الخير يا أمي.

اتجه إلى المرأة الوحيدة الجالسة في القاعة وقبلها. ابتسمت "مادلين هايس" لابنها وقبلته بدورها. كانت ترتدي فستانا ورديا، وكان شعرها المشدود إلى الخلف يكشف عن قرط ثمين. وقالت:

– "سوير"! أين كنت؟ لقد حاولت أن أتصل بك لعدة أيام ولكن العم "لين" قال لي...

– أعتذر لانشغالي في الأيام الأخيرة، فقد كنت أتفاوض على عملية مهمة جدا، أريد أن أعرفك بالدكتورة "إليزابيث لي بارون" التي تعتبر من أفضل الخبراء في مجال الحقيقة الوهمية. وهي مستعدة للعمل معنا. بدون أن تنطق بكلمة واحدة، أخذت "بيب" يد المرأة الممدودة نحوها وسلمت عليها.

– إنني مسرورة جد لمعرفتك يا دكتورة "لي بارون".

– شعور متبادل يا سيدة "هايس"، حسب ما رأيت في مشروع الألعاب الوهمية الخاص بشركتكم، أستطيع أن أؤكد لكم أن بين أيديكم ثروة هائلة ستصبح "ميرث" أفضل شركة في هذا المجال.

www.elromancia.com

عبثت "مادلين هايس" بياقة فستانها وكلها فرح.

– هل هذا معناه أن المساهمين سوف يستعيدون أرباحهم من جديد؟

– لا أعتقد أنهم خسروها فعلا، ولكني أستطيع أن أضمن لكم مبالغ ضخمة في زمن قياسي.

قالت المرأة العجوز وهي تربت على كتف "سوير":

– كنت أعلم أن ابني عبقري. ولهذا السبب بالذات تركت له إدارة أسهمي.

اقترب "سوير" من عمه وقال له مبتسما:

– شكرا لإدارتك الدفة في غيابي، أظن أنه يمكنني الآن استعادة كرسي الرئاسة.

احتج "هوكر" قائلا:

– لقد عزلناك عن منصب المدير العام منذ قليل أنا الذي أدير الشركة منذ اللحظة.

رد "سوير" متسائلا بلهجة شبه حزينة:

– حقا؟ إني متأكد لو أن الدكتورة "لي بارون" كانت قد علمت هذا لما قبلت بالعمل الذي نعرضه عليها.

صاح الرجل العجوز الذي بدأ الغضب يظهر عليه:

– نستطيع أن نجد خبيرا غيرها!

قال الشاب بلهجة هادئة:

– ولكن يجب أن يحظى خبيركم بموافقتي ودعني أسألك سؤالا آخر: كم من الوقت تظن أن الشركة ستواصل فيه أرباحها إذا ما قمت بسحب شهاداتي وعقودي الخاصة من "ميرث"؟

– شهاداتك؟

– كل المنتجات التي شكلت نجاحات تجارية لـ"ميرث" أنا الذي اخترعتها، وبالتالي فهي قانونيا ملك لي وليس لشركة "ميرث"، وهي مسجلة باسم "سوير هايس" ما عليك إلا أن تستشير مستشارنا القانوني

أليس كذلك يا "برستون"؟

هز المحامي رأسه بالإيجاب:

– هذا صحيح.

تلعثم "هوكر" وهو يكاد يبتسم لابن أخيه قائلا:

– لكنك لن تفعل ذلك طبعا...

قاطعه "سوير" بحدة:

– الآن إذا لزم الأمر! إذا عزلتني، سوف تكون "ميرث" شركة مفلسة قبل أن أخرج من هذا المبنى.

انتفضت "مادلين هايس"، وواصل "سوير" حديثه وهو ينظر إلى السيدة العجوز:

– أماه، هل ترغبين في تغيير تصويتك قبل رفع الجلسة؟

ردت مسرعة:

– طبعا فليحتفظ ابني بمركز المدير العام.

أعلن "سوير" وهو يضرب بكفه على الطاولة الكبيرة:

– حسناً، انتهى الاجتماع، شكرا لكم جميعا على حضوركم ثم أمسك عمه من ذراعه وابتعد به عن المجموعة وقال بصوت خافت ولكن بلهجة شديدة:

– عم "لين"، سوف أقول لك هذا بمعزل عن البقية حتى أجنبك إحراجا جديدا، أمامك ساعة واحدة لتقدم لي فيها استقالتك وتخلي مكتبك.

كانت الساعات التالية بمثابة العذاب بالنسبة لـ"بيب" ففي حين أنها كانت تفكر في أن يفسر لها "سوير" سبب مغازلته إياها بهذه الطريقة، وجدت نفسها تتناول طعام الغداء بين الأم وابنها وأمام هذا الأمر الواقع، كان عليها أن تنصت مرغمة إلى ثرثرة السيدة العجوز حول الديكور الجديد لمنزلها وأمور أخرى تافهة من هذا القبيل. وجدت "بيب" أن هذه المرأة عديمة الفائدة ولا تهتم بشيء أو بشخص آخر غير نفسها، والحسنة الوحيدة التي اكتشفتها فيها هي الحنان الغريب نوعا ما نحو ابنها. وخلال كل هذا

www.elromancia.com

الوقت كانت "بيب" تتساءل لماذا قام "سوبر" باستغلالها بهذه الطريقة. كانت تتردد في الحكم عليه ولكن كان يتولد بداخلها شعور بالثورة. عندما أرادت إنقاذ منصب "سوبر" الإداري فلم تتردد في قول إنها كانت مستعدة للعمل بـ"ميرث" بالرغم من أنها لم تكن لديها الرغبة الكافية في ذلك. قالت الفتاة ثائرة على نفسها في صمت: "يا لك من حمقاء".

عندما فرغوا من هذه الوجبة التي كانت تبدو بدون نهاية، أصرت "مادلين" على أن يقوم "سوبر" ومعه "بيب" باصطحابها إلى الفندق مرورا بحديقة النباتات وكانت أم "سوبر" تندهش أمام أية مجموعة من الزهور أو أي شجرة تراها.

حاولت "بيب" أن تتماسك إلى أن وصلوا أمام فندق "وارويك".

همس "سوبر" قائلا" أثناء توجه أمه لأخذ مفتاح غرفتها:

– إنني أعتذر ساحاول أن أتصرف باسرع ما يمكن.

ردت الفتاة هامسة:

– أرجو ذلك. لاننا يجب أن نتحدث معا.

– في وقت لاحق.

لو لم تره وهو يحاول أن يتهرب من توصيل أمه إلى المطار لظنت "بيب" أن "سوبر" يحاول أن يورطها، ولذلك لما أخبرها الشاب أنهم سيذهبون لتوصيل أمه إلى المطار قبلت وهي تتجرع الصبر لتتفادى الغضب. وكان ذلك جيدا بالنسبة لها؛ لأنهم بمجرد وصولهم إلى المطار اقترحت السيدة "هايس" عليهما أن يأخذا معها كاسا من الشراب لحين موعد الإقلاع.

لم يتوقف "سوبر" لحظة عن الكلام طوال رحلة العودة لتوصيل "بيب" إلى منزلها، كان يبدو قلقا ومحرجا جدا من أن يسود الصمت بينهما. أما "بيب" فلم تكن تنطق، كانت تفكر من جديد في كل ما حدث لها في الأيام الماضية، ولكنها لم تستطع أن تركز بالفعل. كانت ثرثرة "سوبر" تحاصرها في منطقة بلبلة، وكان كل شيء مضطربا حولها، وكلما كان "سوبر" يسترسل في حكاياته الغريبة جعلها ذلك تنسى الأسباب التي

تجعلها لا ترغب في سماعه، وكانت تكتشف أحيانا أنها تضحك من هذه التفاهات التي يتحدث عنها. وبمجرد أن توقفت السيارة أمام الباب قفزت "بيب" خارجها وقالت له آمرة إياه:

– انتظرني هنا، سوف أقوم بتغيير ملابسي لن أتأخر وبعدها سوف نتكلم.

رد "سوبر" قائلا:

– ولكننا لم نتوقف عن الكلام.

– كلا، لم تتوقف عن الحديث عن أشياء غبية ومضحكة بعض الشيء ولكننا لم نتكلم بعد.

– إذن لم يستهوك الموضوع الذي حدثتك عنه؟

– بلى. بلى بالتأكيد ولكننا بالرغم من كل هذا سوف نتحدث معا.

سألها "سوبر" في قلق":

– ولكن بخصوص ماذا؟

قاطعته قائلة:

– بعد قليل، الآن يجب أن أغير ملابسي.

قال الشاب وهو يتثاءب:

– إذن انتظري، أحب أن أساعدك في ذلك. بالإضافة إلى أنني مرهق، ربما استطعنا أن ننام قليلا أليس كذلك؟

– لا. ليس الآن. فهناك "نان" ولا أريد أن أسبب لها حرجا بوجودك معي. انتظرني فحسب.

قال "سوبر":

– حسناً جدا، سوف أنتظرك على أحر من الجمر.

الفصل التاسع

كانت الشمس تميل للغروب خلف حائط الأشجار على الجانب الآخر من

البحيرة عندما وصل "سوير" وبيب" في صمت بالقرب من المركب القديم. كانا يشاهدان قاربا صغيرا ذا محرك يجر وراءه متزحلقا.

قال "سوير" متسائلا:

– هل جربت من قبل رياضة التزحلق على الماء؟

– نعم. فقد علمني إياها التوءمان "ستراهان". ولكنني كنت أظن أنني لن أقدر على فعل ذلك أبدا. نظرا لفرط الخجل والخوف.

– والآن؟

نظرت إلى "سوير" نظرة حادة. ثم قالت:

– أظن أني أستطيع ذلك؛ لأنني إن كنت قد تعلمت شيئا معك فسيكون بالتأكيد هو تخلصي من مخاوفي.

نظر "سوير" إلى الأفق وقال:

– يبدو وكأنه مر دهر كامل على أول مرة أراك فيها عندما كنت تقومين بطلاء ذلك القارب القديم. لقد كان شكلك مضحكا بذلك الشريط الفضي اللاصق على أنفك ونظارتك العجيبة.

ردت وهي تبتسم ابتسامة حزينة:

– هذا حقيقي. أنا أيضا أحس أنه قد مر دهر منذ لقائنا الأول بالإضافة إلى أنني تغيرت كثيرا. وأمتن لك بما علمتني إياه وأعطيتني إياه، إنك سبب كل هذا التطور.

قال بحرج:

– توقفي من فضلك.

كان يبدو أنه على وشك أن يحمر وجهه خجلا. واصلت الفتاة:

– لا، إني جادة يا "سوير"، شكرا على كل هذه الدروس الحياتية شكرا جزيلا. ولكن الآن لست أدري إن كان الأمر يستحق...

قاطعها "سوير":

– أتدرين، لقد قمت بالفعل بتحويل هذا الهيكل المتهالك إلى قارب جميل، ماذا تنوين أن تفعلي به.

– بدون شك سوف أقوم بجولات على ظهره. نوعا ما مثل "هاكلبيري فين" أو "توم سوير" ولكن...

سألها "هايس":

– ألم أخبرك بأن لدي قاربا؟ إنه مرفوع ليتم إصلاحه، ولكنه سيكون جاهزا بعد أسبوع، ربما سوف أصحبك للقيام بالغطس في أعماق البحر، هل جربت ذلك من قبل؟

هزت رأسها نافية ثم فتحت فمها لتواصل حديثها الذي يجثم قلبها. ولكن الشاب لم يترك لها الفرصة لذلك. وواصل كلامه قائلا:

– سوف أقوم بتعليمك. وأنا واثق أنك ستحبين ذلك! يمكننا أن نتجول بين جزر "كيز" ثم لم لا نتجه بعد ذلك إلى جزر "الكاريبي"؟ لن يكون لدينا شيء نفعله سوى التمدد في الشمس أو الغطس في المياه الصافية ونفعل كثيرا من الأشياء الصغيرة الأخرى التي نحبها ما رأيك في هذا؟

– لست أدري إن هذا يعتمد على...

قال "سوير" مقاطعا إياها بصوت غير واثق:

– هل تعرفين كيف تجعلين الحجر يقفز فوق الماء؟ انظري إن السر يكمن في حركة المعصم أثناء رمي الحجر.

وقام بتناول حجر مصقول ورماه على سطح البحيرة قفز الحجر عدة مرات على سطح الماء قبل أن يغطس فيه. ثم أعطى الفتاة حجرا ولكن تجربتها كانت فاشلة.

قال وهو يعترف أخيرا:

– نستطيع القول: إنك تفتقدين التركيز. أليس كذلك؟

ردت "بيب":

– هذا صحيح لأنني لا أريد أن أتعلم رمي الأحجار في الماء بل أريد فقط أن نتحدث. فعندي بعض الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة.

ركل "سوير" بغضب فرعا ميتا كان بالقرب منه وقال:

– هذا ما كنت أخشاه. كنت أتمنى بغباء ألا تسأليني عما تريدين أن

www.elromancia.com

تساليني فيه، أتفهمين؟

– أسال عن ماذا؟

– عم إذا كان كل هذا المجهود المبذول مني لانال إعجابك، وإذا ما كانت كل هذه الأوقات الرائعة التي قضيناها معا لم يكن لها سوى هدف واحد فقط: أن أقنعك بقبول العمل في "ميرث". أليس كذلك؟

ردت بصوت محايد:

– أنت الذي تقول ذلك.

قال لها بصوت يملؤه الحزن:

– لم يكن من أجل ذلك. أستطيع أن أقسم لك على ذلك.

– ولماذا علي أن أفكر بهذه الطريقة؟

– لقد لاحظت نظرتك إلي عندما كان "هيربيرت" يتحدث عن خبير الحقيقة الوهمية المنتظر.

قالت الفتاة وهي تفكر:

– هل تعلم يا "سوير"، لقد تعلمت خلال الأسابيع التي قضيناها معا أن أتعرف عليك، وأعلم أنك لم تكن تغازلني من أجل الشركة. ولكن يجب أن أعترف أن الفكرة خطرت فعلا على بالي. ولكني أعلم أيضا أنك لست ذلك النوع من الرجال.

نظر إليها وكأنها قد ألقت له بطوق نجاة ثم قال وهو يقترب منها ويحتضنها بين ذراعيه:

– لم أخف في حياتي مثلما أنا الآن، ولم أكن أعرف كيف سأقنعك بصدق نيتي لو لم تصدقيني. آه يا حبيبتي كم أحبك. وفجأة دوى صوت قريب:

– أوهيه! هل من أحد؟ أوهيه!

قالت "بيب":

– هذا صوت "نان". إنها تبحث عنا.

قال "سوير":

– أظن أنها ستأتي إلى هنا إن لم نرد على ندائها. أليس كذلك؟

– بالتأكيد.

– حسناً اذهبي إليها وسوف ألحق بكما بعد لحظات قالت "بيب" متسائلة:

– ولم لا تأتي الآن؟

– لأنها لو رأتني في هذه الحالة ربما تغضب مني بل يمكن أن تطاردني أيضا.

ضحكت "بيب". بينما كانت المرأة العجوز تظهر عند أول الطريق كانت تحس أن هناك شيئا ما قد حدث.

قالت "نان" وهي تبتسم ابتسامة لها معنى كبير:

– أظن أنني وصلت في الوقت المناسب، ولكن ماذا يفعل "سوير" على القارب؟

– آه... إنه يقوم بفحص الهيكل؛ ليتأكد من عدم نفاذيته للماء سوف يلحق بنا بعد قليل.

– إن عميك هنا يا "بيب".

– عم "والدو" وعم "إيموري"؟

– أظن أنه ليس لديك أعمام غيرهما يا عزيزتي.

– شكرا يا "نان" سوف نأتي بسرعة.

كان الأخوان متشابهين لدرجة أذهلت "سوير" عندما قامت "بيب" بعملية التعارف بينهم؛ ومما زاد في التشابه ارتداؤهما لنفس النوع من البذل السوداء الفخمة، كان الشيء الوحيد الذي يفرقهما هو ربطة العنق: فأحدهما كان يرتدي واحدة حمراء والآخر زرقاء. بالرغم من احمرار وجهيهما إلا أن "سوير" استطاع أن يلاحظ الشدة الموجودة في نظراتهما وعزاها إلى سنوات الدراسة والأبحاث وإلى الصرامة التي تحتاجها تلك الأخيرة.

قال وهو يصافحهما الواحد تلو الآخر:

www.elromancia.com

– إنني مسرور جدا لمعرفتكما، لقد حدثتني "بيب" عنكما كثيرا، والشيء الوحيد الذي يحيرني الآن هو كيف أتصرف مع كل هؤلاء الدكاترة "لي بارون".

قال الرجل ذو ربطة العنق الزرقاء:

– إن الأمر سهل جدا. أنا الدكتور "والدو" وهذا الدكتور "إيموري".

واصل "سوير" الكلام وهو يغمز بعينه لـ"بيب":

– وهذه الدكتورة "بيب".

سأله "إيموري":

– لم تكن تدرس في "رايس" يا سيد "هايس" أليس كذلك؟ لا أظن أنني رأيتك في أي من محاضراتي.

قالت "بيب" شارحة الأمر:

– عماي يظنان أن "رايس" أفضل جامعة في البلاد.

قال "والدو" معترضا:

– لا. لا "هارفارد" أيضا ليست سيئة...

قال "سوير" وهو يبتسم:

– على كل حال أنا لم أكن في "رايس" ولا حتى في "هارفارد" في الحقيقة لم أذهب قط إلى الكلية.

– كيف؟ ألم تدرس قط في كلية؟ لكن "بيب" أخبرتنا أنك مدير عام لشركة كبيرة جدا. إن هذا الأمر عجيب. أليس كذلك يا "والدو"؟

– بل عجيب جدا يا "إيموري"!

قالت "بيب":

– في الحقيقة إن "سوير" لم يذهب أبدا إلى المدرسة.

صاح العم "والدو":

– يا للعجب!

– هذا موضوع مثير للاهتمام. أليس كذلك يا "والدو"؟

قال الأستاذ الكبير مزايدا:

– بل مثير جدا للاهتمام.

قالت الفتاة وهي تنهض:

– حسناً، ما علينا إلا أن ننتقل لتناول الطعام وسوف نناقش هذا الموضوع بشأن ما قولك يا "سوير" أن تبدأ في رواية قصتك بينما أذهب لمساعدة "نان".

كان لكلام "سوير" أثر السحر على الأخوين لدرجة أنهما قررا ألا يعودا إلى "رايس" إلا في صباح اليوم التالي. وكانت قصة الصراع بين "سوير" وعمه على قيادة الشركة قد غطت كل وقت العشاء. وبطبيعة الحال لم يستغرق الأمر من العالمين أكثر من ثلاث دقائق حتى أصبحا يتعاطفان مع الشاب. كانا يريان في هذا الصراع على السلطة نوعا من الفروسية التي أثارتهما على قلب رجل واحد ضد "ليونارد هوكر".

وصاح العم "إيموري":

– كنت أود أن أكون موجودا لأرى وجه هذا اللص!

قال "والدو":

– أظن أنه نال ما يستحق بقصة الشهادات تلك، إنك رجل تكتيك فذ، لابد أنك خصم عنيد. هل تلعب لعبة الشطرنج؟

رد "سوير" بتواضع:

– مستواي ليس سيئا.

واصل الأستاذ الكبير قائلا:

– لابد أن أحذرك، إن أخي بطل جامعة "رايس" منذ ثلاث سنوات.

رد الشاب قائلا:

– وأنا أيضا لست معوقا، هيا بنا!

قال العم "إيموري" لأخيه بلهجة ساخرة:

– أظن يا "والدو" أنك عثرت أخيرا على منافس حقيقي لك.

نهض "والدو" ليتجه إلى غرفة الجلوس وتبعه أخوه ولكن "نان" سرعان ما دعتهما من جديد:

– دكتور "والدو"! دكتور "إيموري"! لم ينته العشاء بعد هل يمكن أن تنتظرا حتى أقدم لكما طبق الفاكهة حتى يتسنى لكما ترك الطاولة بعد ذلك.

نظر الأخوان إلى بعضهما بعضا بابتسام ثم عادا للجلوس من جديد.

– مات الملك.

صاح "والدو" قائلا:

– يا للعجب! إن هذا الشاب يهزمني للمرة الثانية.

همس "إيموري":

– لعبة جيدة أيها الشاب، حتى أنا كان من الصعب علي أن أهزمه. ومثلما قال لك أخي من قبل: إنك رجل تخطيط فذ أليس كذلك يا "والدو"؟

قال هذا الأخير مؤكدا:

– بل أستطيع أن أقول: إنه فذ للغاية.

رد "سوير" ببساطة:

– ربما حالفني بعض الحظ.

أكد "والدو" قائلا:

– لا. لا. لا أيها الشاب لقد لعبت بطريقة جعلت خصمك يذهب حيث كنت تريده أن يذهب، إنه أسلوب الكبار.

قال "سوير" بحرج وهو ينهض:

– شكرا. أظن أنه يجب علي أن أرحل، لقد استمتعت جدا بصحبتكما وأرجو أن القاكم من جديد في أقرب فرصة.

نهض وسلم على الأخوين وقال وهو يسأل "بيب":

– هل يمكنك اصطحابي إلى الباب؟

تبعته إلى الخارج.

– أعتقد أنك تركت انطباعا قويا عند عمي أتدري ذلك؟ وكونك استطعت هزيمة عم "والدو" كان كفاكهة السهرة. ولكن لم لم تتركه

يهزمك؟

– كان سيشك في الأمر ولن يحترمني لذلك.

قالت وهي تقلد عمها "والدو":

– إنك رجل تخطيط فذ.

– إنني أعلم أين يجب أن أذهب وأين لا يجب؟!

– أعلم ذلك ولهذا السبب لم نستطع أن نتحدث، لقد قمت بإدارة الحوار باستاذية.

– حقا؟ كنت أعتقد أننا تكلمنا فعلا. قالت:

– كلا. ولكننا سوف نفعل ذلك غدا.

رد قائلا:

– أوافق. يمكننا أن نذهب إلى المزرعة لنرى الأولاد ونخبرهم بأننا أنقذنا مزرعتهم، هل توافقين على ذلك؟

ردت مسرعة:

– طبعا، إنني أعشق هؤلاء الأطفال.

– أأطلب من عميك الحضور أيضا؟

– كلا، لا أعتقد أنهما سيحبان ذلك بالإضافة إلى أنني متعجبة من زيارتهما لي ولكني أعتقد أن "نان" هي التي أخبرتهما بأن شيئا ما يحدث بيننا، ولابد أنهما أتيا لمعرفة الأمر.

– هل تظنين أنني نجحت في الامتحانات؟

– بامتياز في رأيي.

بعد قبلة الوداع ابتعد "سوير" بينما كانت "بيب" واقفة وحدها أمام الباب تتذكر الأسئلة التي لم تستطع أن تطرحها على "سوير هايس" ولكنها عندما أحست بأن التعب يمنعها من التركيز آثرت أن تذهب إلى الفراش.

*****

www.elromancia.com

حطت الطائرة المروحية في المكان المخصص لها في مزرعة "ميرث"، وبمجرد أن توقفت المراوح قفز "سوير" من الطائرة ليذهب إلى الجانب الآخر منها ويقوم بفك حزام الأمان الخاص بـ"بيب".

نظرت حولها وقالت:

– أتساءل عن السبب الذي جعل الأطفال لا يأتون لاستقبالنا، أو على الأقل "سكوتر" و"دافي"...

أمسك بيدها وجذبها برقة خارج الطائرة وقال في قلة صبر وحرج:

– حسناً هيا تعالي معي الآن!

قالت "بيب" محتجة:

– تمهل يا "سوير"! ماذا بك اليوم؟ أجدك شديد القلق.

– أتجدينني كذلك حقا؟ قلق كيف؟

فكرت ثم ردت:

– لست أدري، ولكنك تبدو مفرط الإثارة، هل فهمت ما أعني؟

رد "سوير" وهو يجذب يدها بنوع من الشدة:

– أفهم ما تعنين جيدا. والآن اتبعيني.

سار الاثنان معا نحو المبنى الرئيسي وعند اقترابهما منه رأت "بيب" الأولاد مجتمعين أمام المبنى كانوا ينظرون باهتمام إلى السيد "مات" كأنهم ينتظرون منه إشارة ما، وعندما رأى هذا الأخير الزوج يقترب وضع على فمه مزمارا قديما وبدأ يعزف لحن نداء وسرعان ما بدأ الأولاد الذين كانوا يحملون في أيديهم قطعا مستطيلة من الورق المقوى. يجرون في كل الاتجاهات ليشكلوا في النهاية صفا واحدا أمام "بيب" و"سوير". وكان مكتوبا على قطع الورق المقوى المصفوفة بجانب بعضها العبارة التالية:

– "بيب"، إنني أحبك. أرجوك أن تقبلي الزواج بي!

"سوير".

كانت الصدمة شديدة على "بيب" جعلتها تنهار من البكاء. كانت نظراتها تنتقل من العبارة المحمولة بواسطة الأطفال إلى "سوير" الذي كان

ينظر إليها نظرة طفل فعل شيئا خبيثا. وقال لها في النهاية:

– ما رأيك؟

ردت بصعوبة:

– لست أدري ماذا يمكنني أن أقول لا تسعفني الكلمات لذلك.

ترك "سكوتر" و"دافي" الصف ليتجها مسرعين إلى الشاب.

صاح "سكوتر" قائلا:

– هل كان الأمر جيدا يا "سوير"؟ ألم نخطئ؟

رد قائلا قبل أن يتوجه بالحديث إلى باقي المجموعة:

– الفكرة ناجحة تماما. كنتما رائعين حقا. أهنئكما على ذلك.

قال الطفل الصغير قبل أن يوجه كلامه للفتاة:

– أسمعت يا "دافي" لقد كنا رائعين هل ستتزوجين منا أيضا يا سيدتي؟

صاحت وهي تضحك قائلة:

– أنتم جميعا؟ لكن...

رد الطفل وهو ينظر إلى "مات" الذي كان يقوم بجمع الصبية:

– أظن أنك ستتزوجين "سوير" فقط بالإضافة إلى أننا يجب أن نترككم لأن السيد "مات" قال لنا: إن علينا أن ندعكم تستمتعون بوجودكم هنا بمجرد أن ننتهي من آه...؟ كيف نقول ذلك؟

– مهمة؟

صاح الطفل:

– نعم، هذه هي مهمتنا.

تأثرت الفتاة من هذا الموقف وانحنت نحو الطفل لتحتضنه. قبلها "سكوتر" قبلة سريعة قبل أن يتقدم "دافي" في خجل. قال بصوت خافت جدا قبل أن يقبلها:

– إننا نحبك جدا.

احتضنته وردت عليه فورا بصوت يحجبه التأثر:

– وأنا أيضا، أحبكم كثيرا.

www.elromancia.com

ثم ذهب الطفلان؛ لينضما لباقي المجموعة تاركين "بيب" و"سوير" وحدهما. قبل "سوير" وجنة الفتاة ثم سألها بخبث:

– هل لي الحق في شيء صغير أنا أيضا؟

– نفس الشيء؟

– "أحبك" مثلا؟

لم ترد:

– قال في النهاية:

– هل تحبينني؟

– بالطبع أحبك أو على الأقل هذا ما أعتقده، لأنني لم يسبق لي أن أحسست بهذا قبل أن ألقاك. نظرت من حولها قبل أن ترتمي في أحضان "سوير" ثم عادت لتقول بصوت مرتجف:

– لست أدري معنى كل هذا. كل شيء مضطرب في رأسي ولا أستطيع حتى التفكير.

ضمها نحوه بقوة.

– ما الذي يجعلك مضطربة؟ أكونك تحبينني أم لأنك ستتزوجين مني؟

ردت "بيب" شارحة:

– كل شيء مضطرب منذ أن عرفتك، لا يوجد شيء بقي على حاله في حياتي، لقد تسببت في قلب كل الأوضاع رأسا على عقب.

قال وهو يبتسم:

– يا عزيزتي المسكينة.

ردت بشدة:

– إنني لا أجد ما يضحك في هذا الأمر يا "سوير هايس".

قال بسرعة:

– طبعا إن الأمر لا يستدعي الضحك. أظن أنه يجب علينا أن نتحدث، هيا بنا نجلس فوق جذع هذه الشجرة فسوف نستطيع هناك أن نناقش الأمر بهدوء أكثر أتوافقين؟

جلسا فوق الجذع، ثم أمسك "سوير" بكفي "بيب" وقال:

– كلي آذان مصغية.

– لقد كانت حياتي قبل أن أعرفك منظمة جدا حتى الفوضى فيها كانت – بطريقة ما– منظمة أيضا وطبعا كانت هناك تلك الأبحاث التي كنت أجريها على سلوكي ولكن حتى هذا الأمر كان مرتبا في حياتي وكان عملي هو محركي الوحيد، متعتي الوحيدة في الحياة وظننت وقتها أنه سوف يبقى كذلك إلى الأبد، إن الطبيعة قد حبتني ببعض القدرات الخاصة؛ ولذلك أخذت عهدا على نفسي أن أجعل المجتمع يستفيد منها لأقصى درجة. ولكن...

– لكن؟

– لكني اكتشفت معك الوجه الخفي لنفسي وجه أكثر جنونا، أكثر طيشا علمتني أنت كيف ألهو وكيف أستمتع بالحياة ووجدت أنني قد أحببت هذا كثيرا. ولكنني في نفس الوقت لن أستطيع اللهو طول حياتي. أليس كذلك؟ إنني غارقة في الفوضى ولم أكن أبدا أطيق ذلك، ولا أعرف أين أنا، لم أعد أعرف من وأين أنا ولا حتى ماذا أريد.

همس قائلا:

– لكنني أعرف من أنت؟! إنك المرأة التي أحبها والتي أريد أن أتزوجها وأقضي معها بقية عمري.

– لكنني لا أعرف حتى معنى أن أكون امرأة ولا ماذا سأفعل ببقية عمري. لست أدري إن كنت سأستطيع التأقلم مع أسلوبك في الحياة، وبالرغم من كل ما عايشناه معا إلا أنني ما زلت لا أصدق بوجود الحظ أو السحر. كل شيء مختلط، إني أحس أنني ضائعة.

ارتمت بين ذراعي "سوير" وانهارت باكية، فضمها إليه بأقصى قوته. وهمس لها قائلا وهو يمسح دموعها بطرف قميصه:

– اهدئي، كل شيء سوف يكون على ما يرام، لا تبكي قولي لي فقط ماذا يمكنني عمله حتى أخرجك من هذه الحالة وهل يمكنني فعله؟

www.elromancia.com

استنشقت ثم قالت له:

– لابد لي من وقت لأرتب فيه أفكاري وحدي.

– تريدين أن تقولي بدوني؟

ردت قائلة وهي تهز رأسها:

– بالضبط؛ لأن كل شيء يختلط علي عندما نكون معا.

سألها في حيرة:

– وكم من الوقت؟

– لست أدري.

– إنني أحبك جدا يا "بيب" ومستعد لأن افعل اي شيء من أجلك. إن كنت تريدين مني أن أغير من حياتي فسأفعل ذلك بمجرد أن تطلبيه.

– لا داعي لذلك يا "سوبر"، فأنا أفضلك كما أنت، وعلى كل حال سوف تكون تعيسا إذا ما حاولت أن تسير ضد طبيعتك وأظن أن المشكلة لا تتعلق بك بل بي أنا...

– أعتقد أنك تعانين من أزمة في الشخصية.

– ربما، ولكني يجب أن أعكف على دراسة المشكلة قبل أن أتخذ أي قرار أريد أن أقوم بتركيب القطع من جديد وأخشى أنني لن أستطيع ذلك. أخشى ذلك كثيرا.

– حبيبتي، لا أعرف شيئا سوى أنني أحبك. وأود أن أعرف إن كان هذا الذي يحدث لك بسببي أم بسبب شيء آخر قلته أنا؟ هل هو بسبب العمل الذي عرضته عليك؟ أم أمي؟

قالت "بيب" بعد أن فكرت مليا:

– ربما. ولكنني لا أعرف إن كان الأمر حقا يتعلق بذلك. على كل حال كنت أفكر في العودة إلى العمل حتى أجد نفسي في وسط مألوف ربما ساعدني ذلك على التفكير. ما رأيك؟

– إن كنت ترغبين في العمل فلقد عرضت عليك "مبرث" المكان الخالي لعملك بها.

– يجب علي أن أفكر ولابد لي من وقت لذلك. الوقت هو ما احتاج إليه فعلا.

تنهد "سوبر" كأنه رضي بالأمر وتبسم للفتاة بحزن.

وقال لها:

– أظن أن الأطفال كانوا يأملون في أن نصطحبهم لاحتفال مفاجئ صغير. ولكنني أرى أن الوقت غير مناسب لذلك...

ردت "بيب" وهي تعود للبكاء من جديد:

– أعتذر عن تصرفي بهذه الطريقة إنني أفسد كل شيء...

قال "سوبر" وهو يحتجز إحساسه بالحزن بقدر ما يستطيع:

– لا عليك احتفظي بقميصي لتجففي به دموعك سأذهب لأخبر الأطفال أنك مرهقة قليلا من جراء المفاجأة.

حاول جاهدا أن يبتسم قبل أن يقول لها:

– على كل حال أظن أن هذا ما حدث تقريبا أليس كذلك؟ لقد كان غباء مني أن أفعل معك هذا كان علي أن أتوقع ذلك، سوف أعود حالا.

خلع قميصه ليتركه للفتاة ثم ابتعد تاركا إياها شاردة بين أفكارها. كان هناك ألم لم تألفه يجثم فوق صدرها ولكنها أجبرت نفسها بالرغم منه على التفكير. هل كانت تحب ذلك الرجل حقا؟ طبعا إنها تحبه! كان عليها أيضا أن تعترف بأنه من طراز خاص، مثل ثائر على الحياة ولكن ثورته كانت مميزة كان يبدو كأنه يعيش في عالم خيالي، بعيد كل البعد عن واقعه الخاص حتى هي لم تكن تعرف موضعها في الوجود، وكانت تخشى أن يزيد "سوبر" من تعقيد الأمور أكثر مما هي عليه.

اعترتها موجة من الخوف مما جعلها تدس وجهها في قميص "سوبر"، كانت رائحة الشاب تغمر حواسها، تزيد من اضطرابها كانت ترغب في أن تعدو خلفه وتخبره بأنها مستعدة لأن تشاركه كل شيء ومهما حدث. لكنها لم تفعل ذلك. كانت تحتاج إلى وقت للتفكير، لتجد الخلل بداخلها.

من أجلها ومن أجله ومن أجل أن يستطيع حبهما أن يستمر. في هذه الأثناء كان "سوبر" يفكر بسرعة، فكر في الأطفال وإلى أي مدى سوف يحزنون بل ويحبطون أيضا ولكن ليس بنفس درجته هو؛ لأنه مهما بحث عن كلمة يعبر بها عن إحساسه بالقلق أمام ما اعترفت به "بيب" له في الحقيقة لم يكن يتوقع أن يكون رد فعل "بيب" بهذه الطريقة. لم يكن يستطيع أن يتصور أن شيئا سوف يتعارض مع مشاريعه بمثل هذه الطريقة الفجة. كان دائما يشعر أن هذه المرأة خلقت من أجله، منذ أول مرة رآها...

قال في نفسه محدثا إياها في غضب: "يالي من مغرور، متعجرف"!

لأول مرة في حياته كان هناك شخص يفكر بعكس ما يجول بخاطره، ويكون لديه آمال غير آماله هو. ولأول مرة كان عليه أن يواجه نفسه، وطريقته في الحياة.

هل كان فعلا شخصا عديم المسؤولية؟ ومع ذلك كان يعلم أن كثيرا من الناس يظنون به ذلك. حاول إقناع نفسه قائلا لها:

- "إنهم لا يفهمون، ولا يرون ما أراه أنا". ولكنه كان يظن أن "بيب" تفهمه، بل كان يريد إقناع نفسه بذلك.

لم يكن عليه سوى الأمل، الدعاء... والانتظار.

الفصل العاشر

قضى "سوبر" معظم الأيام الثلاثة التالية جالسا في الشرفة، ينظر إلى الرياح وهي تداعب الأزهار البرية المنتشرة أمام المنزل ومع أن الطبيعة المحيطة به كانت تعكس الهدوء إلا أن الشاب لم يستطع أن يستلهم ذلك منها. كانت صورة الفتاة تداعب عينيه في كل مكان، كان يسمع صوتها ويشم عطرها. وبدا القط "شادو" كأنه يحس بحالة صاحبه لكن وجوده لم يشغل بال "سوبر هايس" الذي يجلس هنا بدون أن يفعل أي شيء، كأنه كان

ينتظر مرور الوقت ليعود إلى النوم. لقد وعدها بإعطائها وقتا للتفكير بمعنى أنها منعته من الاتصال بها بأي طريقة كانت لكنه لم يتصور أنه سيتألم لمجرد أنه لا يعرف أين هي أو ماذا تفعل أو كيف حالها؟

رن جرس التليفون ليقطع الصمت السائد في المكان، نهض "سوبر" قافزا؛ مما جعل القط يفر ليختبئ تحت الطاولة، رفع الشاب السماعة، كانت "بيب" صوتها الحبيب إلى قلبه الذي كاد يخرج من بين ضلوعه من فرط الأحاسيس المتدافعة بداخله.

- أهلا. كيف حالك؟

- آه صباح الخير يا "سوبر"، كنت أود أن أتحدث معك بخصوص الوظيفة التي عرضتها علي. قال وهو يشعر بالإحباط:

- نعم، هل قررت قبولها؟

- لا، لا أفضل ذلك.

شعر الشاب بانقباض في قلبه. وواصلت "بيب" حديثها:

- لا أعتقد أنني الشخص الأكثر كفاءة لهذا العمل بالإضافة إلى أن الوضع... ولكنني تحدثت إلى "بيل روسكا"، وهو شخص ذو كفاءة عالية وهو شغوف أيضا بأنواع الرياضة، ووجدت أنه مهتم للغاية. لم ينطق "سوبر".

- "سوبر"؟ هل أنت معي؟

رد "سوبر" مسرعا بعد أن استجمع أفكاره.

- نعم. نعم أنا معك. إن كنت قلت ذلك فأنا أصدقك، ما عليك إلا الاتصال بـ"هيربرت" وإخباره بالأمر بأسرع ما يمكن. ساد صمت آخر. ثم قال:

- لقد افتقدتك.

ردت مسرعة لتحيي الأمل من جديد بداخل "سوبر":

- وأنا أيضا افتقدتك.

- هل فكرت؟

www.elromancia.com

– لا. ليس بعد.

– هل ترغبين في الخروج معي في انتظار ذلك، نستطيع أن نذهب إلى السينما أو نتناول شيئا ما، لست أدري...

قاطعته قائلة:

– توقف عن ذلك يا "سوير"!

– ألا ترغبين في الخروج معي؟

– لست متأكدة أحتاج إلى مزيد من الوقت.

قال في نفسه:

"تبا، ألم تتصلي بي فقط إلا لتحدثيني عن هذا "بيل" لست أدري ماذا". كلا لقد كان هناك شيء آخر، وكان عليه أن يجاري الأمور حتى النهاية وأجبر نفسه على ذلك. قال لنفسه يحدثها:

"الصبر، الصبر، سيأتي دوري قريبا". لكنه كان يكره الانتظار، كان أله بزيد مع الانتظار ولم يكن يحب ذلك أيضا وعندما طالت مدة تفكير الفتاة كره ذلك أكثر. كان لديه الإحساس بأنها تستغل ذكاءه بطريقة ذكية؛ لأنها أجبرت نفسها على ذلك.

قالت في النهاية:

– حسنا أعتقد أن علي أن أنهي المكالمة.

– هل أستطيع أن أقول لك شيئا قبل أن ننهي المكالمة؟

– نعم.

– "اي لوف يو"، هل تسمعين؟! إنني أحبك بكل روحي بكل قلبي حاولي أن تتذكري ذلك وأنت تفكرين، وبمناسبة ذكر القلب أرجو أن تنظري من حين لآخر داخل قلبك؛ لان ذكاءك في بعض الأحيان ينسيك بقية الأشياء. استشف "سوير" أنينا قبل أن تغلق "بيب" الخط تساءل وهو يمسك بالسماعة إن لم يكن قد أفسد كل شيء بالفعل.

قالت "كارول فينهويزن" وهي تضع قدح القهوة على مكتبها:

– أظن أنها مجرد أزمة معرفة للذات. وهو المثال النموذجي لاختلاط

الأدوار الذي تتعرضين له.

ردت الفتاة وهي تقرض أحد أظافرها:

– هذا ما قاله لي "سوير".

– هذا لأنه رجل عاقل، أما أنت فتبدين كأنك فقدت عقلك.

سألتها "بيب":

– تماما، مع أنك حذرتني من ذلك.

ردت صديقتها وهي تبتسم لها ابتسامة غريبة:

– نعم، ولكن الحب يجبرنا على فعل أشياء عجيبة، هل تعلمين ذلك، أظن أنك واقعة في الحب طبعا.

– كليا تماما وبجنون إنه الشيء الوحيد الذي أجدني متأكدة منه. ولكن ليس في كل الأوقات لأنني أخشى أن تكون أساليبنا في الحياة غير متفقة تماما. وأظن أن هذا أساسي. أليس كذلك؟

– للأسف لا يوجد من يرد على هذا السؤال غيرك.

– كنت متأكدة أنك ستقولين لي ذلك لقد قرأت الكثير من الكتب خلال الأيام الماضية وكنت أتساءل عم إذا لم يكن "سوير" يعاني اعراض مرض "بيتر بان" إلا إذا كان يقوم بالتعبير عن الطفل الكامن بداخله.

ابتسمت الطبيبة النفسية من جديد وقالت:

– أظن أنك قرأت الكثير حقا، ولكن علي أن أقول لك شيئا: كل إنسان متفرد لدرجة تجعل من الصعب بل من المستحيل أن نقوم بتحليل تصرفاته بناء على مقاييس ثابتة. وأظن بالرغم من كل هذا أنه يمكننا أن نرسم صورة تخطيطية عامة للحالة التي توجد أمامنا وهي حالة "سوير" طبعا.

أولا هل لديه سلوك أناني أو نرجسي؟

قالت "بيب" محتجة:

– كلا على الإطلاق! إنه شديد الكرم والجود لدرجة أنه يمول مشاريع اجتماعية خيرية كثيرة، دون أن نذكر مزرعة "ميرث" التي سبق أن كلمتك عنها.

www.elromancia.com

– أفهم. هل هو لحوح أو متشدد في سلوكه أو في أفكاره عن الحياة؟

– إن "سوير" يمتلك شخصية مرنة جدا، كما أنه سهل المعاشرة لدرجة أنني لم أقابل من يضاهيه في ذلك حتى الآن.

– هل لديه فكر استقلالي؟

– لا يمكن أن يكون أكثر من ذلك على ما أظن.

– هل هو سعيد في عمله؟

– بكل تأكيد. لقد أنشأ شركته من لا شيء تقريبا أما اليوم فتمثل الألعاب التي اخترعها منذ أكثر من خمسة عشر عاما أكبر جزء من دخل "ميرث" والشيء الوحيد الذي يضايق الناس الذين يعمل معهم هو طريقته الغريبة في إدارة الشركة.

قالت "كارول فينهويزن" مستخلصة:

– إنه الصورة المثالية للعبقري الفذ.

– حقا؟

– نعم مثالي حقا لابد أنه يعمل بجد في بعض الأحيان.

– أعتقد ذلك. ولكننا لم نتحدث عن ذلك قط؛ لأن علاقتنا اقتصرت على اللعب أساسا وهو تلقائي وحيوي جدا بالإضافة أنه لا يأخذ الأمور بجدية أبدا إلا في بعض الأحيان كما فعل مع عمه في الشركة عندما حاول طرده من منصبه.

– هل يحبك ويريد الزواج بك؟

– نعم.

انحنت "كارول" نحو صديقتها وقالت:

– بالمناسبة أليس لديه أخ؟

– كلا، لماذا؟

لم تستطع الطبيبة النفسية أن تداري ابتسامتها وهمست قائلة قبل أن تعتدل على كرسيها:

– باللأسف. أما الآن فسوف أطرح عليك بعض الأسئلة الخاصة بك: ما

هو الوقت الذي شعرت فيه بأكبر قدر من السعادة في حياتك؟

بدأ وجه "بيب" في الاحمرار. واصلت "كارول" وهي تبتسم:

– عدا ذلك متى كانت سعادتك الكبرى؟

– عندما قمنا بالطيران الشراعي في "أكابوكلو".

– ثم متى؟

– عندما تعلمت ركوب الخيل.

– هل كان الأمر أكثر إثارة من حصولك على الدكتوراه أو من عملك؟

– بأمانة، نعم. أعتقد أن كل هذه الأمور أصبحت بالنسبة لي أكثر أهمية من الوظائف التي أقوم بها.

– هل تستمتعين بعملك الآن بنفس الطريقة التي كنت تستمتعين به في الماضي؟

– كلا، حتى عندما أكون مشغولة في العمل الذي أؤديه في الـ"ناسا" يعتريني ملل كبير جدا.

– ما هو العمل الذي استمتعت به منذ أن بدأت هذا الموضوع؟

– أن أصمم العابا للأطفال، إن ذلك ممتع حقا.

همهمت "كارول":

– هممم.

قالت "بيب" بشيء من الحيرة:

– ما معنى هذه هممم؟

– في لغة علم النفس يمكن أن يكون لها معنيان: إما ألا يكون لدي أية فكرة عما يجول بخاطرك، وإما أن أكون قد اكتشفت ماذا يجري بداخلك ولكنني أريد أن تجدي الإجابة بنفسك. هذا هو ما أعنيه.

– إن هذا لا يساعدني البتة!

– بل يساعدك بكل تأكيد يا "بيب" لابد أن تفكري أكثر من المعتاد فكري فيما تريدين، فيما تحبين، فيما تودين أن تفعلي بحياتك المستقبلية انتظري سوف أسهل لك المسألة قليلا، تخيلي أن حياتك سوف تنتهي بعد

www.elromancia.com

شهر أو بعد سنة، فما هي الأشياء التي ترغبين في تحقيقها حتى ذلك الحين؟ فكري في ذلك وسوف تجدين الإجابة.

لم تنقطع "بيب" عن التفكير في اليومين التاليين، كانت تحلم بذلك أثناء نومها أيضا، كانت ترى نفسها على ظهر الفرس وسط الرياح في الحقول أو سابحة في السماء بواسطة طائرة شراعية فوق الجبال الرائعة ودائما كانت بصحبة رجل لم تتبين ملامحه لكنها كانت تحس أنها تعرفه. وعندما تستيقظ كان جسمها كله يهتز من تأثير أحلام الليل. كان لديها الإحساس بأنها حرة طليقة. لكن هذا الإحساس سرعان ما يختفي بمجرد أن تتذكر الفتاة بأن وراءها عملا يجب أن تنجزه لـ"ناسا" وأحست "بيب" فجأة بالقهر.

دون أن تفكر رفعت سماعة التليفون وطلبت رقم "سوير" لكنها وضعت السماعة فورا بعد ثانيتين رن جرس تليفونها.

قال "سوير" متسائلا:

- هل طلبتني؟

تلعثمت وهي ترد عليه:

- نعم... نعم كنت... كنت أريد أن أسالك سؤالا، سؤالاً جاداً، بل في غاية الأهمية أيضا.

- إني أنصت إليك..

- هل تعمل أحيانا؟

رد "سوير" وهو يضحك:

- بالطبع أعمل، بل إنني أعمل كثيرا لكن أغلب عملي يرتكز على وسائل اللهو؛ ولذلك فانا ألهو أثناء عملي.

- حقا؟

- لكنني أفضل أن ألهو بدون عمل، مثلما كنا نفعل معا. إن ذلك ما يمتعني حقا ألا ترغبين في أن أحضر إليك لنلهو معا؟

- أرجوك يا "سوير" كن جادا! ألا تحس بالذنب لانك لا تعمل بنفس

الطريقة التي يعمل بها الناس جميعا؟

- ولم ذلك؟ إنها طريقتي في كسب عيشي ولا أملك تغييرها، بالإضافة إلى أنه يجب أن تتنوع مكاسب الناس حتى يكون العالم. لقد كنت محظوظا فقط.

ردت الفتاة قبل أن تغلق الخط:

- حسنا جدا، شكرا إلى اللقاء. ولكن سرعان ما عاد جرس التليفون إلى الرنين.

قال "سوير" متسائلا بنوع من الغضب:

- هل يمكن أن تشرحي لي ماذا يعني كل هذا؟

قالت:

- أحاول فقط أن أرتب أفكاري ولقد كنت خير عون لي شكرا.

قال الشاب مؤكدا:

- ألا ترغبين في الذهاب إلى الشاطئ؟

تنهدت "بيب" قبل أن تقول:

- "سوير"، يجب أن أذهب إلى العمل.

كان الوقت متأخرا جدا عندما وصلت الفتاة إلى منزلها القريب من البحيرة، زادت أفكارها المتشابكة من إحساسها بالقهر. ولكنها سرعان ما أيقنت أنها لابد أن تعترف بالأمر الواقع خاصة عندما آوت إلى فراشها محاولة الخلود إلى النوم، إنها لم تعد تجد أي طعم لعملها، ولا حتى شعورا بالاستحسان، لا شيء سوى الإحساس بالإجبار المسيطر عليها. كما استطاعت أيضا أن تعترف أن هذا الشعور ليس بجديد عليها.

قالت في نفسها معترفة:

"أنا متأكدة من أن "سوير" يعلم ذلك وربما علمه قبلي بوقت طويل".

كم كانت رغبتها شديدة في أن تكلمه، تراه وتلمسه. لم تستطع إلا أن تفكر فيه وعندما قررت أن تنام امتدت يدها تلقائيا نحو التليفون لكنها ترددت للحظة بعد أن نظرت إلى الساعة المتأخرة التي يشير إليها المنبه.

www.elromancia.com

بالرغم من ذلك رفعت السماعة وطلبت رقم "سوبر"، رن الجرس مرة، مرتين، ثلاث مرات دون إجابة. قالت تحدث نفسها وهي تشعر بالإحباط:

"لابد أنه قد نام". وضعت السماعة.

أخذت كتابا في علم النفس وفتحته؛ لتسقط من بين صفحاته أربعة أنفال ذات أربع ورقات نظرت إليها للحظة قبل أن تعيدها إلى مكانها برقة. فكرت في صمت مبتسمة:

"لقد جلبت لي حظا كثيرا إلى الآن، أرجو أن يستمر ذلك". ثم أطفأت الأنوار وانزلقت تحت الأغطية لتنام. بدأت تحلم بالجنيات، مخلوقات صغيرة تطير داخل الغرفة لها أجنحة وتنساب منها خيوط من غبار النجوم اللامعة في الظلام.

قالت تلك المخلوقات العجيبة للفتاة:

"هيا تعالي لتطيري معنا، هيا معنا".

انتصبت "بيب" فوق سريرها ومدت يديها وكأنها تستعد للطيران مع الجنيات لكنها سرعان ما استيقظت لتكتشف أنها لاتزال داخل غرفتها، بقيت مذهولة للحظات قبل أن تحاول العودة إلى النوم وهي حزينة.

بعد فترة سمعت صوتا ليس بغريب عنها أمام نافذتها ثم آخر، وآخر كذلك.

قفزت من فراشها لتتجه مسرعة إلى النافذة. إنه "سوبر" يجلس على فرع الشجرة نفسه مبتسما، فتحت النافذة.

قال لها ببساطة:

– هل طلبتني؟

– نعم.

– هل انتهيت من التفكير أم لا؟

– نعم، لقد نظرت داخل قلبي هذه المرة.

– وبعد؟

– كنت أطير من جديد، هيا خذني.

قال وهو يضحك:

– ما عليك إلا اتباعي يا حبيبتي، إنني أنتظرك في مركبتي الفضائية؛ لأحملك إلى ما وراء النجوم.

ارتدت "بيب" ثيابها بسرعة، وحملت بعض متعلقاتها في حقيبة سفر، ثم جلست لتكتب هذه الكلمات الموجهة إلى "نان".

"إنني رحلت إلى عالم "سوبر" الخيالي. لا أظن أنني سوف أعود يوما ما. إنني أحبكم.

"بيب".

الفصل الحادي عشر

سأل "سوبر" "بيب" بينما كان يحملها بين يديه على سطح قاربه الشراعي الرائع:

– ما رأيك في سفينتي الفضائية؟ هل يكفي ذلك لإقناعك بالذهاب إلى "الكاريبي"؟

– يا إلهي! إنه رائع حقا!

– هيا قولي لي ما أسمعتني إياه منذ قليل يا حبيبتي.

همست الفتاة:

– أحبك بكل روحي، بكل قواي، أحبك، أحبك، أحبك!

– وبعد؟

– نعم وأقبل أن أكون زوجة لك.

بدأ "سوبر" في الصياح على طريقة رعاة البقر.

– "سوبر"! ماذا سيظن الناس بنا؟

– هل هذا يهمك فعلا؟

ردت وهي تضحك:

www.elromancia.com

- كلا مطلقا.

قال لها وهو يجذبها من يدها:

- تعالي لأريك بقية المكان، سوف يعجبك حقا، خاصة الغرفة الداخلية إنها مجهزة بسرير وكل مستلزمات عش الزوجية.

همست وهي تقف وسط تلك الغرفة الرائعة:

- يا حبيبي، لقد افتقدتك كثيرا في تلك الأيام السابقة.

رد هو:

- بل أنا الذي افتقدتك، وكاد صبري ينفد، لدرجة أنني خططت لاختطافك.

- هل أنت جاد.

- نعم.

احتضنها وقبلها وكأنه يراها لأول مرة منذ زمن بعيد.

قالت وهي تنظر إليه:

- كنت تعلم أننا خلقنا من أجل بعضنا البعض أليس كذلك؟

- بلى كنت أعلم ذلك. بل كنا سنتقابل لا محالة مهما كانت الظروف.

بدأ القارب يتهادى مبتعدا عن الشاطئ ببطء، وكأنه يسبح نحو عالم خيالي وأرسلت الشمس أشعتها لتداعب شراعه المرفرف في الفضاء، كان اسم ذلك القارب العجيب يظهر بوضوح فوق سطح الماء: "القارب السحري".

تمّت بعون الله